المعهد الأعلى للتربية
والتكوين المستمر
***

الشّعبة: اللغة و الآداب العربيّة (مرحلة أولى)

الوحدة: البلاغة AR105

الأستاذ: خالد ميلاد

البلاغة وعلوم العربية

من الصعوبات الأساسية التي قد يلاقيها الباحث لدى دراسته التفكير اللغوي العربي القديم تمييز البلاغة من النّحو من جهة وتمييزها من علوم أخرى لم تنفصل مداراتها عن دراسة الكلام من مثل علم الأصول والتفسير ونقد الأدب من جهة ثانية.

وإذا كـان فصل البلاغة من النحو أو من علم الأصول والتفسير والأدب أمرا يبدو عسيرا، فإن تمييز البلاغيين من النحاة أو من الأصوليين أو من المفسرين أو الـنقاد تمييزا تاما يكاد يكون في نظرنا ضربا من العبث لا طائل من ورائه، ذلك أنه لم يكن يوجد في الحقيقة فاصل واضح وحد دقيق يميز النحوي من البلاغي أو البلاغـي من الأصولي أو المفسر أو ناقد الأدب، وإنما هو "علم العربية" يستخدمه هـؤلاء فـي هذا المجال ويستعمله أولئك في غيره من المجالات، وربما استخدمه الشـخص ذاتـه هـنا اسـتخداما أول يجعل الدارسين يصنفونه ضمن النحاة، ثم استخدمه هنالك استخداما ثانيا يستلزم اعتباره في صفوف البلاغيين أو الأصوليين أو غيرهم، فيكون الشخص الواحد نحويا وبلاغيا وأصوليا ومفسرا وناقدا للأدب.

إن البلاغييـن والأصـوليين والمفسـرين ونقاد الأدب وإن تعددت أغراضهم واختلفت اتجاهاتهم كانوا قبل كل شيء، وفي الأغلب الأعم، نحاة، تعلّموا النحو في أول ما تعلموا من العلوم، ولكن منهم من ألف في النحو، ومنهم من ألف في النحو وفـي غـيره مـن العلوم، ومنهم من ألف فيما يؤلف بين النحو وغيره من العلوم كالمعاني والبيان والأدب.

ولـنا في تراثنا من المصنفات ما يجسد هذا التكامل بين مختلف علوم العربية وينبـئ عن فهم خاص ودقيق لمكانة النحو من علم الأدب وعلاقة الكفاية النحوية بالكفاية البلاغية. ومن هذه المصنفات دلائل الإعجاز **للجرجاني** وهو مصنف يبحث فـي معاني النحو وما به يكتسب النظم الفضائل والمزايا حتى يبلغ درجة البلاغة فالإعجاز. وهو كتاب يعسر تصنيفه ضمن كتب البلاغة بل تصنيف صاحبه ضمن البلاغيين، **فالجرجاني** في الحقيقة نحوي يصنفه **السيوطي** ضمن النحاة إذ يقول "عبد القاهـر بـن عبد الرحمان الجرجاني النحوي" (بغية الوعاة، ص31). وكذلك فعل **السـبكي** فـي طـبقات الشافعية إذ نعته بأنه "النحوي المتكلم على مذهب **الأشعري**" (السابق). ونحن نعلم أنه قضى جل سني حياته في استخلاص الوجوه من الفروق فـي ائـتلاف الكلم، وتعلق بعضها ببعض، وعمل بعضها في بعض، فهو صاحب

"كتاب الجمل في النحو" وهو صاحب "العوامل المائة" وهو صاحب " المقتصد في شـرح الإيضاح" **لأبي علي الفارسي** على أنه استخدم النحو ومعانيه في بيان تفاوت الكـلام في درجات البلاغة والبيان وذلك في "الدلائل" و"الأسرار" وانتهى إلى أن الكفايـة الـنحوية معطـى أولـي ومكون أسبق من مكونات الكفاية البلاغية التي يشـترطها علـم الأدب، كمـا انتهى إلى أن هذه الكفاية النحوية لا تعدو أن تكون "معاني ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله وتوصف بأنها مقاصد وأغراض... " (الدلائل،406).

ومـن هـذه المصنفات أيضا مفتاح العلوم **للسكاكي**، وهو كتاب ضمنه صاحبه علومـا شـتى منها علم الصرف ومنها "علم النحو بتمامِه وتمامه، بعلمي المعاني والبـيان "(المفتاح،3). إن هذه العلوم بما تشتمل عليه من فروع وجهات لتحصيل علـم الأدب، ذلك "أن مثارات الخطإ ثلاثة: المفرد والتأليف وكون المركب مطابقا لما يجب أن يتكلم به، وهذه الأنواع بعد علم اللغة هي المرجوع إليها في كفاية ذلك ما لم يتخطّ إلى النظم" (السابق).

وبذلك تكون كفاية تحصيل علم الأدب قائمة على كفايات نحوية لغوية تتصل:

- إما بالمفردات:

من حيث جواهرها وموادها، وهو علم اللغة.

أو من حيث صورها وهيئتها، وهو علم الصرف.

أو من حيث انتساب بعضها إلى بعض بالأصلية أو الفرعية، وهو علم الاشتقاق.

- وإما بالمركبات على الإطلاق.

فأما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية، فعلم النحو.

وأما باعتبار كيفية تلك الفائدة في مراتب الوضوح، فعلم البيان(ن. **التهانوي**،I، 13).

إن **السـكاكي** لا يفصل في الحقيقة بين علم النحو وعلمي المعاني والبيان وإنما علـم الـنحو تمامـه بعلمي المعاني والبيان، لأن علمي المعاني والبيان إنما هما الصـور المـنجزة في المقامات المخصوصة لأحكام النحو في مختلف المستويات اللغوية المعجمية والتصريفية والاشتقاقية والاعرابية، **والسـكاكي** يشير في مناسبات عديدة إلى أن "مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية... وكذا مقام الكـلام ابـتداء يغاير مقام البناء على السؤال، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البـناء علـى الإنكـار... ولكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر... وارتفاع شأن الكـلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق بـه وهو الذي نسميه مقتضى الحال. فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده عن مؤكدات الحكم... وإن كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه..." (المفتاح، 73) وهو مذهب صريح في أن العنصر "الدلالي التداولي" لديه، شأنه في ذلك شأن الجرجاني، محدد للبنية النحوية المنجزة، ذلك أن المقامـات والأحـوال هـي التـي تقتضي معاني النحو التي توصف عند كل من

الجرجاني **والسكاكي** بكونها خواص تراكيب الكلام التي تقتضيها الأحوال والأغراض. على أن خواص تراكيب الكلام لا تعدو أن تكون في الحقيقة إنجازا لأحكام النحو، "فلا ترى شيئا من ذلك يعدو أن يكون حكما من أحكام النحو ومعنى من معانيه. ثم إنا نرى هذه كلها موجودة في كلام العرب، ونرى العلم بها مشتركا بينهم". (مقدمة الدلائل، ص:ش.ت). والمزية والفضل إنما يكونان في حسن استخدام تلك المعاني النحوية المشتركة فيما يناسب كل معنى من المقامات الخصوصية.

إن هذا المذهب في تصور علاقة النحو بالبلاغة هو الخصيصة الأساسية التي تميزت بها البلاغة العربية. وإن هذا التصور لمنزلة النحو المركزية في تحديد مراتب الكلام هو الذي حدا بأهل البيان في الدرس البلاغي إلى تحديد خواص تراكيب الكلام وإيرادها تحت الضبط وذلك "بتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار، ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئا فشيئا على موجب المساق، والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان الخبر والطلب المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة التي يأتيك ذكرها([1])". (المفتاح، 71).

وقد كان ذلك عموما مدخلا للبلاغيين لدراسة الإنشاء وألفاظه وتراكيبه ومعانيه، وهو مدخل أفضى بهم إلى اجتياح مجال النحو، وكانت منطلقاتهم الأولى دراسة الكلام في المقامات الحقيقة المعينة، فاحتاجوا لذلك إلى اعتماد أحكام النحو ومعانيه قاعدة أولية لكل تحليل للكلام ودرس للنشاط اللغوي. وساعدهم في ذلك تكوينهم النحوي إذ لاحظنا أنهم كانوا في الأغلب الأعم نحاة وأنهم تعلموا في أول ما تعلموا من العلوم النحو بمعناه المتسع للصرف والإعراب وعلم اللغة بمعناه المتصل بالدلالة المعجمية للألفاظ المفردة.

ويعتبر مفتاح العلوم **للسكاكي** أكمل نص بلاغي في القديم وفي الحديث على حد السواء، ويمكن أن نذهب إلى أن الشروح والحواشي التي ألفت حوله إنما هي نصوص منه، وذلك من مثل تلخيص المفتاح للخطيب **القزويني** ومختصر السعد على تلخيص المفتاح، والمطول على تلخيص المفتاح وكلاهما **للتفتازاني**. وقد اعتنت هذه المصنفات بشرح ما ورد في المفتاح من مسائل ولكنها أثرته وزادته غناء بما وجده أصحابها من ملاحظات في كتابي الدلائل والأسرار وغيرها([2]). وقد بقيت هذه النصوص المرجع الأساسي للمحدثين في مؤلفاتهم البلاغية وفي حدودهم وتقسيماتهم لأبواب البلاغة وفروعها، بل إن أغلبهم لم يغير فيما ألّف اليوم من مصنفات بلاغية([3]) لا من الحد ولا من المثال الذي كان يضرب له في

---

[1] يعني الاستفهام والتمني والأمر والنهي والنداء.

[2] يقول الخطيب القزويني في مقدمة الإيضاح ص5. "عمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه ا في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وعلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما".

[3] أقصد جميع ما صنفه المحدثون من مصنفات "مدرسية" بلاغية.

المفـتاح. وقد اتخذ البعض من ذلك حجة على أن **السكاكي** كان كارثة على البلاغة إذ عطّـل، في نظرهم، حركيتها وتطورها وجمد مجاريها بما وضعه من تقسيمات وتفـريعات وتبويـب مدرسـي (ن.رجاء عيد، فلسفة البلاغة ص29) وليس ذلك بشـيء، ولا عبرة بمثل هذا الكلام، لأن التراجع الذي عرفه الدرس البلاغي إنّما هـو لـون من ألوان التراجع العام الذي عرفته الحضارة العربية ابتداء من القرن التاسـع الهجري. وكذلك الجمود الذي يتهمون السكاكي ومصنّفه بكونهما كانا سببا فيه إنما هو وجه من وجوه الجمود الذي ألم بالفكر العربي طيلة ما يعرف بعصور الانحطاط، وليس **للسكاكي** ولا لمفتاحه فيه ذنب مباشر أو غير مباشر.

في نشأة البلاغة

تمهيد

لئـن ولـد الدرس النحوي مكتملا في " الكتاب" الذي وضعه **سيبويه** (ت 180 هـ) حتّى أن **المازني** كان يقول "من أراد أن يعمل كتابا في النحو بعد كتاب **سيبويه** فليسـتحي"([1])، فإن الدّرس البلاغي لم يستقلّ و لم تتّضح حدوده و مفاصله إلاّ في بدايـة القرن السابع مع **السـكاكي** (626هـ) صاحب مفتاح العلوم، ولعلّ ذلك يعود إلـى دقّـة المباحث البلاغية وتفشّيها في مختلف علوم العربية وعسر خضوعها، بطبيعـتها، للتقنيـن والتقعـيد باعتبارها تنزع إلى أن تكون مقياسا للشعرية والفن والإبداع والإعجاز وهي لعمري مسالك لا يسهل قيسها لسعة مجالاتها وتداخلها.

وقـد يكون الجاحظ (255 هـ) الرائد الأول الذي ألّف كتابا خصصه لدراسة بلـيغ الكلام وسعى فيه إلى تحديد بعض ضوابط المستوى الفنّي من اللغة([2]). ذلك أنّه لم يقتصر في "البيان والتبيين" على إبداء ملاحظات عامة ارتساميه وإنّما سعى إلـى وضـع أسس نظرية للبلاغة لا تخلو من طرافة و ابتكار. على أن **الجاحظ** لم يسـتنبط ذلك ولم ينتبه إليه إلاّ عن طريق ما كان يسجله معاصروه من المتكلمين والمعـتزلة مـن جدل كلامي يعتبر أسا من أسس البلاغة، وهو ما سيرشّح كتب **الجاحظ** لأن تكون مرجعا لمن جاء بعده.

ويعد ابن **المعـتزّ** (296 هـ) أول من ألّف كتابا مستقلاّ في البلاغة، وهو كتاب "البديع".

ويعـد **السـكاكي** (626 هـ) آخر من ألّف من القدماء في البلاغة وقد تعرض لكتابه "مفتاح العلوم" كلّ من جاء بعده بالشّروح أو التّلاخيص([3]).

علـى أن منهجـية البحـث تحتّم علينا أن لا نتعلّق بالرواد و الأشخاص ذلك أن عوامل النّشأة لأي علم من العلوم إنّما تتصل بأسباب ثقافية وتاريخية وحضارية.

---

[1] السيرافي: أخبار النّحويين البصريين ص 65.

[2] ن. حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه و تطوره إلى القرن السادس منشورات كلية الآداب بمنوبة 1981.

[3] انظر على سبيل المثال: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني وتلخيص المفتاح والمطول على التّلخيص للتفتازاني.

فما هي أبرز العوامل لنشأة البلاغة ؟

أولا: **الشّـعر و ما يتّصل به من عمل نقدي**: إن للشّعر قيمة أساسية في حياة العرب. يقول **ابن خلدون** "اعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب. ولذلـك جعلـوه ديـوان علومهـم وأخـبارهم وشـاهد صـوابهم وخطـئهم وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم" ([1]).

وبدايـات نقـد الشّعر إنّما كانت من زاوية انطباعية ارتسامية، قامت على تفضيل بيـت علـى بيـت، ثـم تبلورت بعض خصائص الشّعر شيئا فشيئا وهو ما جعل الشـعراء مـنذ الجاهلية يسعون إلى تنقيح قصائدهم و تثقيفها. كان **الأصمعي** يقول "زهـير والحطيـئة وأشـباههما عبـيد الشّعر لأنّهم نقّحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعيـن"([2]) وكـان **الحطيـئة** يقـول "خير الشّعر الحولي المنقّح المحكّك"([3]). وكان زهير يسمي قصائده "الحوليات" ([4]).

فالشّـعر لا يأتيهم على الفطرة كما يتوهم البعض، وإنّما كان الطّبع غالبا على الصنعة في أشعارهم .

وقـد أسـهم الرواة من الجيل الأول في القرن الثاني في تأسيس نظرية النقد، وكـان الحافـز على ذلك وقوفهم في وجه تيارات الشّعر التجديدية، ودفاعهم عن عمود الشّعر العربي القديم الذي يكسبون منه رزقهم ومكانتهم الاجتماعية.

ثانـيا: **القـرآن وما يتّصل به من خوض في إعجازه**: إن لنزول القرآن أهمية بالغـة فـي تاريخ العرب و العربية إذ اتّخذ من شكله اللغوي حجة معجزة تتحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله بيانا.

ولعـلّ الحـدث القرآني قد استطاع أن يزحزح الشّعر عن منزلته الأولى في المجتمع العربي، فاستقطب الجهود اللغوية الفكرية، وتأسست عليه مختلف علومهم وظهـرت الدراسـات التي تبحث في علوم القرآن وأسباب إعجازه، ولعلّ ذلك لم يـتجلّ إلاّ بعد فترة الانبهار الأولى زمن نزول الوحي، ذلك أن المسلمين احتاجوا بعـد وفـاة الرسـول وبحكم اتّساع رقعة الإسلام وتباعد فترة الانبهار الأولى إلى الاحتجاج بإعجاز القرآن. وقد قام للدفاع عن الإسلام المتكلمون وخاصة المعتزلة، فقد نشأ عندهم التّفكير البلاغي انطلاقا من اعتمادهم المجاز في تفسير ما أشكل من الآيات القرآنية.

ومن أبرز ما ألّف في هذا الاتجاه:

- ❖ تأويل مشكل القرآن([5]) **لابن قتيبة** (276 هـ)

---

[1] ابن خلدون، المقدمة : ص 740.

[2] ابن قتيبة: الشّعر والشّعراء I ، ص 23 -الدار العربية للكتاب بيروت ص 3 سنة 1983.

[3] المرجع نفسه.

[4] يقول الجاحظ في هذا المعنى "ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا و زمنا طويلا يردد فيها نظره و يجيل فيها عقله و يقلّب فيها رأيه ... و كانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلّدات والمنقّحات والمحكّمات... "البيان و التبيين" ج2-ص9.

[5] المشكل ما احتمل تأويلات مختلفة.

- معاني القرآن **للفراء** : (207 هـ)
- مجـاز القـرآن **لأبـي عبيدة معمر بن المثنّى** (210 هـ) وهو كتاب حلّل فيه صاحبه طرق الكلام من تقديم وتأخير وحذف...
- إعجاز القرآن **للباقلاّني** (403 هـ)
- الكشّاف عن حقائق التنزيل و عيـون الأقاويل في وجوه التأويل **للزمخشري (**538 هـ)

إن هذه الجهود ترتبط عامة بمحاولة فهم القرآن وتأويل آياته واستنباط مواطن بلاغـته وإعجـازه، وهو نشاط متّصل شديد الاتصال بالمعاني البلاغية وبمفهوم البيان الذي اعتبروه أساسا للإبلاغ المتصل بغاية الرسالة المحمدية.

ثالـثا: **المؤثّـرات الأجنبـية**: لئن لم يتأكّد بصفة قطعية تأثّر الدرس النحوي العربـي بـنحو اليونان ومنطقهم فإن الدرس البلاغي العربي قد أخذ، بحكم تأخّره الكثـير مـن التقسيمات والتفريعات والقواعد عن بلاغة **أرسطو،** وذلك عن طريق الترجمة المباشرة وغير المباشرة. فقد ترجمت كتب **أرسطو** منذ أواخر القرن الثاني الهجـري. واعتنى العرب بكتاب "فن الشّعر" **لأرسطو،** فترجمة **ابن سينا،** واهتم به الفارابي، فأخرج كتابا في "قوانين صناعة الشّعر" كما لخّصه **ابن رشد.** وهذا إضافة إلـى أن **الجـاحظ** أشـار في كتاب البيان والتبيين إلى الصحيفة الهندية في شروط البلاغة ([1]).

فالبلاغة العربية تأثّرت في مجموعها بعلوم البلاغة السالفة من هندية ويونانية خاصة وتعتبر مؤلّفات من مثل كتاب نقد الشّعر **لقدامة بن جعفر** (337 هـ) تجسيما لمختلف هذه المؤثّرات.

---

[1] الجاحظ : البيان و التبيين – دار الفكر للجميع 1968 I ص 67.

حدّ البلاغة

لغـة: بلغ الشيء بلوغا وبلاغة وصل وانتهى، وأبلغه هو إبلاغا وبلّغه تبليغا وتـبلّغ بالشـيء وصـل إلى مراده، والبلاغ ما به يتوصل إلى الشيء المطلوب. والإبلاغ الإيصال وكذلك التّبليغ والاسم منه البلاغ ([1]).

خلاصـة المعنى اللغوي أن البلاغة طريقة خاصة للوصول إلى المراد باعتبار أن المراد خاص أيضا، و العلاقة بين المعنى اللّغوي والمعنى الاصطلاحي متينة رغم كثرة التعريفات الاصطلاحية للبلاغة.

اصـطلاحا: لا يمكـن مبدئيا حصر جميع التعريفات للبلاغة باعتبار كثرتها، ولكـن يمكننا أن نتحسس جملة من المحاور التي تدور حولها هذه التعريفات وهي مذاهب يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ- مذهـب يعـرف الـبلاغة بمقارنـتها بالفصاحة، فمنهم من يجعلها مرادفة للفصـاحة و منهم من يجد اختلافا بينهما أو تكاملا. ولعلّ الفرق الأساسي بيـن الفصاحة والبلاغة في نظرنا يعود على كون الفصاحة صفة للكلام أو للمتكلّم في حد ذاتها وبغض النّظر عن المخاطب وأثر المتكلّم أو الكلام فيه. فالفصـاحة، شـرط مـن شـروط البلاغة. والبلاغة تعتمد أساليب مختلفة فصـيحة ولكنّها تشترط إلى جانب فصاحتها التأثير في المخاطب، فكلّ بليغ فصيح ولكن ليس كل فصيح بليغا.

ب- مذهـب يعرف البلاغة بكونها إيصال ما في القلب إلى اللّسان وهو مذهب فاسد في نظرنا لأنه لا يعتبر المخاطب([2]).

ج- مذهب يعتبر البلاغة إيصال ما بالنّفس من معنى إلى السامع المخاطب مع مـراعاة مقتضـى الحـال ومع سهولة اللّفظ. وهو مذهب سديد إن كانت مراعاة مقتضى الحال يقصد منها التّأثير الأقصى في المخاطب. ومما يجسم

[1] انظر مادة ، ب. ل. غ في لسان العرب.

[2] توجد إشارات تدل على أن المقصود بهذا المعنى الصدق : قال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب , وإذا خرجت من اللّسان لم تجاوز الآذان. "انظر البيان والتبيين I ص 61.

هـذا المذهـب تعريف أبي هلال العسكري للبلاغة في كتاب الصناعتين، يقول هي "كلّ ما تبلغ به قلب السامع فتمكّنه من نفسه كتمكّنه من نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن".

د- مذهـب يقرن البلاغة بالإيجاز أو بما أطلقوا عليه "إجاعة اللّفظ مع إشباع المعـنى". علـى أنّهم لم يتوسعوا في شرح معنى الإيجاز واقتصروا على تعريفات موجزة من مثل "البلاغة لمحة دالة". ولعلّهم لم يقصدوا في نظرنا غير التعابير والصور الموحية. فالإيجاز هو الإيحاء وهذا المعنى يلتقي مع مفهـوم سانت بوف للشّعر القائل: ليس الشعر أن تقول كلّ شيء وإنّما هو أن تحلم النّفس بكلّ شيء. وهو ما يفترض دائما اعتبار المخاطب في عملية الإبلاغ ومستوى أدنى من التأثير فيه.

ولعـلّ هذا المذهب هو أقرب المذاهب إلى حد البلاغة إذ يوظّفها توظيفا يقوم على تشريك المخاطب فيما يحس به المتكلّم لمحاولة خلق عالم سحري يقوم على الإيحـاء، عـالم قـد تتّسع أرجاؤه أكثر مما أراده المتكلّم، وقد يعمل على إقناع المخاطب أو تحميسه وإثارته.

أقسام البلاغة:

قسم السكاكي البلاغة ثلاثة أقسام هي التي بقيت إلى الآن وهي:

1- علم المعاني.

2- علم البيان.

3- علم البديع.

علم المعاني

يقول **السكاكي** معرفا علم المعاني : "إنّه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ومـا يتّصـل بهـا من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها على الخطإ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"([1]).

فعلـم المعانـي يبحث في دلالة الأبنية التركيبية الإعرابية المخصوصة على المعاني المقامية المعينة المخصوصة التي لا تعدو أن تكون مقاصد وأغراضا. إن هذه الأغراض هي التي تقتضي التصرف في الجهاز النّظري اللّغوي وما يشتمل علـيه مـن مقـولات نحويـة دلالية من مثل التّعريف والتنكير والتقديم والتّأخير والحذف والتّقدير.

لذلـك فإن علم المعاني يعتني بـ "خواص تراكيب الكلام" فيتّبعها في مستوى إفادة المخاطب، وفي مستوى موافقة قواعد النّحو، وفي مستوى ثالث هو مراعاة ما يقتضي الحال ذكره من كلام. ومراعاة مقتضى الحال تتّصل أصلا بالمخاطب مـن حيث ذوقه وعلمه وذكاؤه أو بلادة فكره. وتذكر المصنّفات في هذه المجال قصة أبيات **بشّار** في جاريته رباب إذ مدحها بقوله :

ربابه ربة البيـت تصب الخلّ فـي الزيـت
لها عشر دجاجات وديـك حسن الصوتِ

فمـنهم مـن اعتبر هذا الشّعر هجينا وعاب على بشّار قوله ، إذ هو يحطّ من منزلـته وهـو من هو ، فكان جواب بشار "لكلّ وجه وموضع ... وهذا قلته في ربابـة جاريتـي... فهـذا عندها من قولي أحسن من "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل" عندك"([2]).

إن هـذه المسـتويات الـثلاثة التـي يتألّف منها علم المعاني تجعل منه علما مشتركا بين البلاغة والنّحو والتّداولية، لذلك دقّت رسومه واعتبرت بعض مسالكه من أسرار البلاغة " ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلاّ الأعراب الخلّص... وإنّه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلاّ كمل لسائر معاني البلاغة"([3]).

وينقسم علم المعاني إلى مباحث :

- الخبر.
- الإنشاء.
- أحوال المسند والمسند إليه ومتعلّقات الفعل.
- القصر والحصر.
- الفصل والوصل.
- الإيجاز والإطناب والمساواة.

---

[1] السكاكي : مفتاح العلوم-المطبعة الميمنية بمصر د.ت.

[2] انظر الأغاني III ص 60 أخبار بشار.

[3] الجرجاني: دلائل الإعجاز ص 70-171. وقد ذكر هذا الكلام بمناسبة حديثه عن مواضع الفصل والوصل.

الخبر و الإنشاء

طرحـت مسـألة تميـيز الخـبر من الإنشاء أول ما طرحت في النصوص اليونانـية، فقد عالجها أرسطو في كتابيه "الخطابة" و"فن الشّعر" باعتبارها أشكالا خاصة من أشكال الأقاويل يقول "و أعني بأشكال القول شكل الخبر وشكل السؤال وشكل التضرع" ([1]).

ومـيز النّحاة العرب منذ سيبويه بين أحكام الخبر والطلب من أمر واستفهام ونداء...

علـى أن الحديـث عـن الخـبر والإنشـاء اتخذ شكلا جديا في ظلّ الفلسفة الاعتزالـية التـي اعتمدت علم الكلام في مناقشة ما أتى به القرآن من معان تلزم المسلمين ببعض الأحكام الدينية والدنيوية.

1- الخبر:

الخـبر : هو ما احتمل من الكلام الصدق أو الكذب لذاته أي بغض النّظر عن نـية المـتكلّم الصدق أو الكذب. ويعرف الخبر بكونه نقلا للواقع الموجود خارج اللغة.

مثال أول:

- السماء صافية.

- كلام يحتمل أن يكون صادقا كما يحتمل أن يكون كاذبا.
- كلام ينقل ما يكون له وجود في الواقع وخارج المؤسسة اللّغوية ويكون هذا الوجود سابقا أو مزامنا أو لاحقا بعمل القول.

مثال ثان:

- حرث الفلاّح أرضه بآلة عجيبة.

- كلام يمكن أن يكون صادقا أو كاذبا.
- عمـل تـم بآلة عجيبة ونقلت اللّغة هذا العمل فهو عمل تم القيام به خارج المؤسسة اللغوية.

فالخـبر لـه مرجع في الواقع خارج اللغة وما اللغة إلا ناقلة لهذه الأعمال أو الأحوال الموجودة في الواقع.

[1] ابن رشد : تلخيص كتاب الشّعر ص 107.

أنواع الخبر :

يقسـم الخـبر باعتـبار تقدير المتكلّم لموقف المخاطب ووضعه وحاله تجاه محـتوى الخبر أي باعتبار تقدير كونه سهل الاقتناع أو شاكًّا أو تقدير كونه رادا للخبر إلى ثلاثة أقسام :

1- الخبر الابتدائي.
2- الخبر الطلبي.
3- الخبر الإنكاري.

<u>الخـبر الإبتدائـي</u>: وهو ما لم يحتج المتكلّم فيه إلى تأكيد باعتبار تقديره للسامع الـذي يكـون سهل الإقتناع أو باعتبار الخبر في ذاته لا يحتاج إلى تأكيد. و يأتي الخبر الابتدائي في صيغتي النّفي أو الإثبات.

- أصاب ناسك من بعض الملوك كسوة فاخرة([1]).
- لم يجد النّاسك مأوى و لا مبيتا([2])

<u>الخبر الطّلبي</u>: وهو ما اقتضى الحال فيه تأكيدا واحدا :

- مثل هذا لا يكون إلاّ سماويا([3])
- إن ماء النّخالة جلاء للصدر([4])

<u>الخبر الإنكاري</u>: وهو ما يحتاج المتكلّم فيه إلى أكثر من توكيد لإقتضاء الحال ذلك.

- إنّي قد رأيت الملك أقام بمكانه هذا زمنا لا يبرح منه([5])
- إنّي واللّه قد خفت هذا بعينه([6])

<u>أدوات التوكيد وأساليبه</u> : يكون التأكيد بأدوات وأساليب مختلفة أبرزها :

الأدوات :

- إن.
- قد + الماضي.
- لام الابتداء.
- القسم.
- أحرف التّنبيه.
- نونا التوكيد الخفيفة و الثّقيلة.
- أما الشرطية.
- ضمير الفصل.

---

[1] كليلة ودمنة، ط شيخو ص75.
[2] المرجع نفسه.
[3] الجاحظ : كتاب البخلاء. ط الحاجري ص 32.
[4] المرجع نفسه.
[5] كليلة ودمنة ص 70.
[6] الجاحظ : البخلاء ص 36.

- ضمير الشّأن.
- الأحرف الزائدة.

ويكـون التّأكـيد بالـتّكرار وبالحصـر والقصر وبالتّوكيد اللّفظي والمعنوى وبالجملـة الاسـمية التـي يكون خبرها مركبا اسناديا فعليا، والمفعول المطلق، والأفعال الدالة على اليقين.

أغراض الخبر:

للخبر غرضان أساسيان هما:

1- إفـادة معنى لا يعلمه السامع فيجني منه فائدة. و قد سمى البلاغيون هذا الغرض: فائدة الخبر مثال: وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي علم العروض.

2- قـد يكـون الكلام الموجه إلى المخاطب معلوما لديه، و إنّما المقصد منه التذكـير أو المجاملـة أو إعلامه بأن المتكلّم يعلم الخبر، و يسمى هذا النّوع من الإخبار: لازم الفائدة.

مثال : أنت كريم.

و قد تتولّد عن المقصد الثاني أغراض تستفاد من السياق أو المقام أبرزها:

- **المدح** :

بناها فأعلى و القنا يقرع القنا   و صوت المنايا حولها متلاطم([1])

- **الفخر:**

ملأنا البر حتّى ضـاق عنّـا   ومـاء البحر نملـؤه سفينـا([2])

- **بثّ الشكوى**:

والشقي الشقي من كان مثلي   في حسـاسيتي ورقّة نفسـي([3])

- **الغزل:**

وكـأن رجـع حـديـثهـا   قطع الريـاض كسين زهـرا

- **إظهار الضعف و الخشوع**:

"إني وهن العظْم مِني واشْتَعلَ الرأس شَيبا"([4])

[1] المتنبي في مدح سيف الدولة.
[2] عمرو بن كلثوم.
[3] الشّابي.
[4] مريم -4-.

2- الإنشاء

هـو كـلام لا يحتمل أن يكون صادقا أو كاذبا ، لأنّه إنجاز لعمل يوقعه المتكلّم باللّغـة لـدى عملية التلفّظ بالقول. فالمتكلّم لا يخبر عن شيء له وجود حاصل في الكـون الخارجي سابق أو مزامن أو لاحق بعمل القول وإنّما ينجز العمل باللّفظ فلا يكون لذلك العمل خارج موجود في الكون.

لنقارن بين الأمثلة التّالية :

1- حرث الفلاح أرضه بآلة عجيبة.
2- وعدتك أمس بالمجيء.
3- أعدك بالمجيء غدا.

- في المثال الأول إخبار عن عمل عمله الفلاح بآلة.
- في المثال الثاني إخبار عن وعد حصل أمس. فالوعد هنا حصل في الماضي. واللغـة نقلت هذا العمل على سبيل التذكير. وعمل الوعد هنا كان له وجود خارج اللّغة.
- فـي المثال الثّالث إنجاز لعمل الوعد باللّغة و إنشاء له، فالوعد لا وجود له خـارج المؤسسة اللغوية في المثال الثالث. لأنّه لا يتحقّق إلاّ بمجرد النّطق بهذه الجملة.

وقـد سمي التّداوليون الإنشاءات أعمالا لغوية([1]) أي أعمالا لا تتم إلاّ باللّغة ولا وجـود لهـا خـارج اللغة. فالتمني إنشاء و كذلك الاستفهام والأمر والنّهي والنّداء والعقود والدعاء والتضرع والوعد الوعيد والتّهديد والتّحضيض والتّحثيث والإغراء والتحذير والقسم...

ملاحظة: للإنشاء قرائن من أهمها:

- إمكان اختزاله أو تحليله في فعل مسند إلى المتكلّم في الماضي المبني للمعلوم من مثل : آمرك ، أعدك ، أتمنّى ، أحذرك...
- وجوب مراعاة المقام وما يطلبه من شروط القدرة على الإنجاز.

أقسام الإنشاء:

ينقسم الإنشاء في النظرية اللّغوية العربية إلى قسمين:

1- **الإنشاء الطّلبي**: وهو إنشاء يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطّلب. فالأمر بالخـروج إنشاء يستدعي الخروج وهو، أعني الخروج، غير حاصل وقت الطّلب.

[1] أوستين الفيلسوف الانقليزي في كتابه : HOW TO DO THINGS WITH WORDS . وقد ترجم إلى الفرنسية بـ : QUAND DIRE C'EST FAIRE ونقل إلى العربية بـ: كيف نصنع الأشياء بالكلمات.

ومـن الإنشاء الطّلبي : الأمر والنّهي والاستفهام والتمنّي والترجي والنّداء والدعاء والتّحضيض والعرض والالتماس والإغراء والتّحذير.

2- **الإنشـاء غـير الطّلبي** : وهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطّلب فهـو تعبـير عن انفعال وإفصاح عن موقف لا يكون له وجود خارج اللغة، ومنه التعجـب والمدح والذم بأساليب المدح والذم والقسم والوعد والعقود والإفصاح عن الكثرة بكم والقلّة برب.

إن هـذا التّقسـيم يمكـن إعادة تبويبه، فتصنّف الإنشاءات تصنيفا يكمل مذهب القدامى و يدقّقه و ذلك على النّحو التّالي :

أولا: إنشـاء الطّلـب ، و يشـمل ٱلأمـر والنّهي والتحذير والدعاء والالتماس والعرض والتّحضيض والاستفهام والنّداء والتمنّي والرجاء.

ثانـيا: إنشـاء الانفعـال ، و يشـمل التعجب وما يكون بمنزلته كالمدح والذم والاستكثار بكم والتقليل برب.

ثالـثا: إنشـاء العقـود ، ويشمل عقد البيع والشّراء والكراء والزواج والطّلاق والوعد والتّهاني والتّعازي...

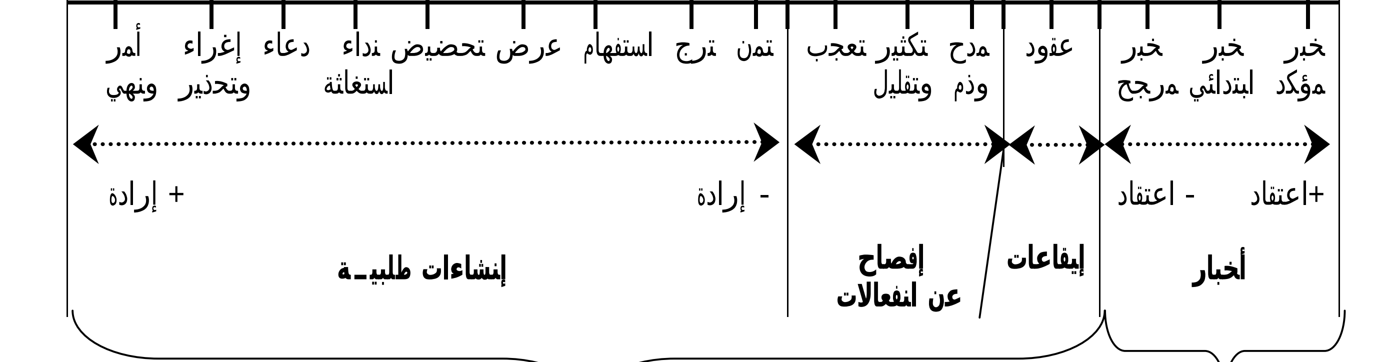
ويمكن ضبط مختلف أعمال الأخبار والإنشاء في الشّكلين التمثيليين التاليين:

المعاني النفسية

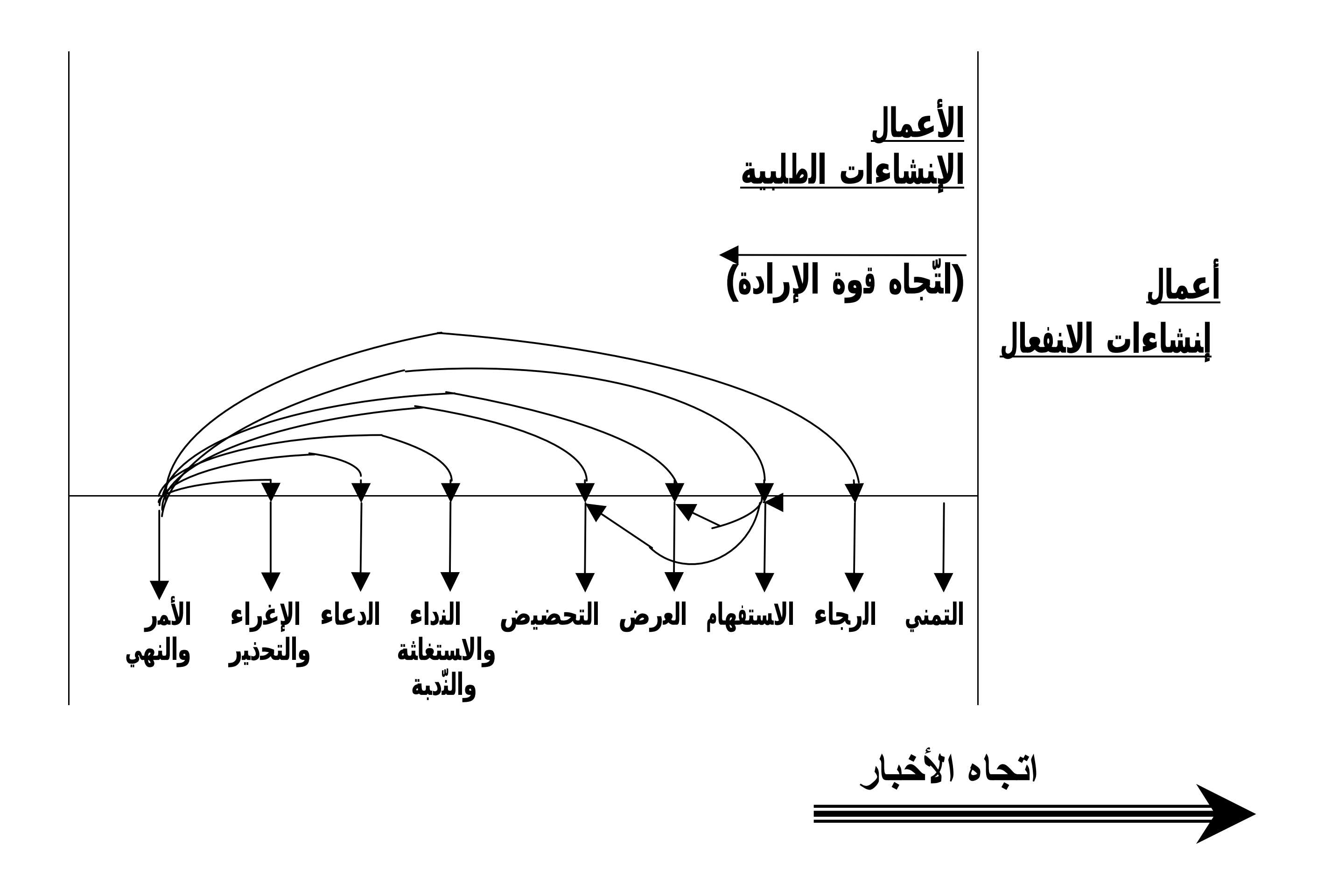
الإرادات: إرادة - انفعال - قصد آني

الاعتقادات: اعتقاد اثباتي

المـعـانـي النّـحـويـة



الخبر **الإنشاء**


الأعمال
الإنشاءات الطلبية
(اتّجاه قوة الإرادة)
أعمال
إنشاءات الانفعال
الأمر والنهي
الإغراء والتحذير
الدعاء
النداء والاستغاثة والنّدبة
التحضيض
العرض
الاستفهام
الرجاء
التمني
اتجاه الأخبار

الاستفهام

حده : هو طلب المتكلّم العلم بشيء لم يكن معلوما لديه.
أدواتــه: الهمـزة – هل – من – ما – متى – أيان – أين – أنّى – كيف – كم – أي.
ملاحظة: هذه الأدوات تنقسم إلى قسمين من حيث بنيتها :
الهمزة و هل: حرفان.
بقية الأدوات أسماء مبنية عدا "أي" فهي معربة.

أنواع الاستفهام :

الاستفهام نوعان:
أ - استفهام لمعرفة المفرد و يسمى استفهام تصور.
ب- استفهام لمعرفة النّسبة و يسمى استفهام تصديق.

- **استفهام التصور**: هو استفهام لمعرفة طرف إسنادي واحد في عملية الإسناد في الجملـة أو لمعـرفة أحـد متعلّقات الإسناد (أو الفعل) كالزمان والمكان والحال... ويكـون الجواب عنه بتعيين المسند أو المسند إليه أو الحال أو الآلة أو المفعول أو المكان أو الزمان...

أمثلة :
- لم فعلت هذا ؟
- بم كتبت ؟
- من أنت ؟
- متى وصلت ؟
- عم يتساءلون ؟

اسـتفهام التّصـديق: وهو طلب متعلّق بالنّسبة بين المسند والمسند إليه أي بالإسناد الرئيسي في الجملة أي بالحكم الحاصل بالإسناد.
فمـثال هل قدم زيد ؟ لا يتعلق الاستفهام فيه بالقدوم مطلقا، ولا بِزيد مطلقا، وإنّما بالقدوم الحاصل أو غير الحاصل من زيد، أي بنسبة القدوم إلى زيد.
ويكون الجواب عن استفهام التصديق بحرف من حروف التصديق([1]) مثل: نعم أو لا.

---

[1] - حروف الجواب أو التصديق هي : نعم – لا – بلى و أي (واللّه)
أخرج زيد ؟ + ← نعم (خرج)
- ← لا (لم يخرج)
ألم يخرج زيد ؟ + ←بلى (خرج)
- ← نعم (لم يخرج)
- أما "أجل" فلا يصدق بها إلاّ في الخبر. مثال خرج زيد ، أجل ...

أدوات الاستفهام و معانيها:

تصنّف أدوات الاستفهام:

1- **حسب نوع الاستفهام المؤدى** : فتقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ- الهمـزة: وهي أم باب الاستفهام و تختص بأداء استفهام التصور أو استفهام التصديق.

- أتمرا أكلت أم رمانا (استفهام ....) (أكمل الجواب)
- أينتج التّمر في بلدكم (استفهام ....)

ب- هل : و تختص بأداء استفهام التّصديق حسب.

-هل فهمت المقصود باستفهام التصور (استفهام ....)

ج- سائر الأدوات: وهي أسماء تؤدي استفهام التصور فحسب.

- من فتح إفريقية؟
- متى قامت الخلافة العباسية؟

تدريب: عين في الأمثلة التّالية الجملة المستحيلة وعلّل جوابك :

- أزيد نجح في الامتحان أم عمرو؟
- هل نجح زيد في الامتحان؟
- أنجح زيد في الامتحان أم عمرو؟

2- **حسب معانيها** (تصنيف الأدوات):

تصنّف الأدوات أيضا حسب معانيها فتفيد:

- الهمزة: استفهام التصور أو التصديق فتكون لتعيين المستفهم عنه أو لإيجاب النّسبة من حيث حصولها أو نفيها.
- هل: يسأل بها عن النّسبة حسب.
- من: تكون لطلب تعيين العقلاء.
- ما : تكون لطلب تعيين غير العقلاء.
- متى: تكون لطلب تعيين الزمان في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.
- أيان: تفيد معنى التّهويل و التّفخيم.

"يسألونك عن الساعة أيان مرساها"([1]).

- أين: تكون لطلب تعيين المكان.
- أنّى: يسأل بها عن:
  - الحال (كيف) : "أنّى يحيي هذه اللّه بعد موتها"([2]).
  - المصدر (من أين): "أنّى لك هذا ؟"([3]).
  - الزمان (متى) : "فأنّى يبصرون"([1]).

-"كلاّ" إنّما هو حرف ردع و تهويل و استهلال و استفتاح.

[1] الأعراف: 187.

[2] البقرة: 259.

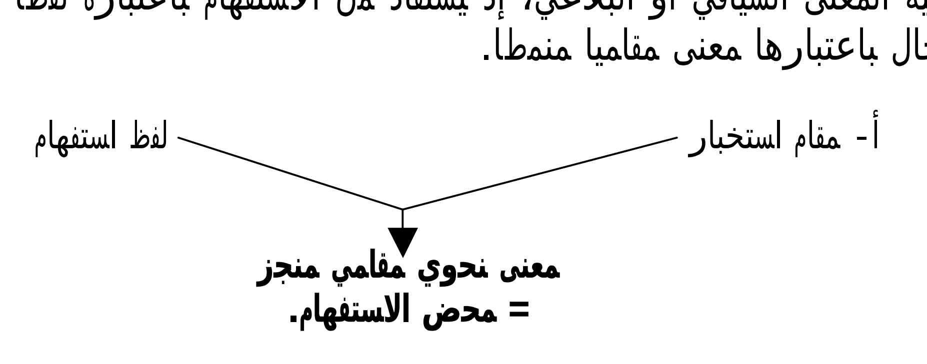
[3] آل عمران 37.

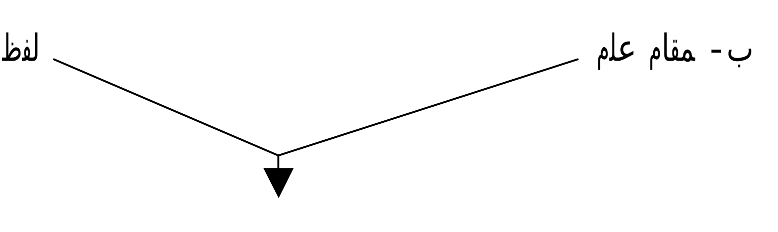
كيف: تفيد طلب تعيين الحال.
كم : تكون لطلب تعيين العدد.
أي: تفيد تعيين أحد المشاركين في أمر ما.

ولكن التّعمق في المسألة يعود بنا إلى تبين حقيقة هذه المقامات وما يتّصل بها من معان:

المقامات النمطية والمعاني الثواني للاستفهام عند سيبويه

قسم سيبويه المقام إلى ما يكون من الذكر أو ما يرى من الحال([2]) وهو ما يعبر عنه اليوم بالسياق المقالي والسياق المقامي. واستخدم مفهوم الحال والمقام ليفسر به اختلاف الدلالات المخصوصة باختلاف المقامات والأحوال وانعكاس كل ذلك في الأبنية الإعرابية. فالاستفهام مثلا، وهو معنى نحوي، قد يستخدم في مقام مناسب لمعناه الوضعي فيدل على الاستخبار وهو معناه الأصلي، وقد يستخدم في مقام لا يناسب ذلك المعنى الأصلي، إذ يكون المتكلم عالما بما يستفهم عنه، فيفيد التوبيخ والتقرير. (ن. الكتاب، 176). ففي الاستخدام الأول طابق لفظ الاستفهام ما اقتضاه من مقام، أما في الاستخدام الثاني فإن لفظ الاستفهام لم يكن من مقتضى مقام الاستفهام فتولد عن عدم التناسب بين اللفظ والمقام معنى ثان هو الذي أطلقوا عليه المعنى السياقي أو البلاغي، إذ يستفاد من الاستفهام باعتباره لفظا ومن قرائن الحال باعتبارها معنى مقاميا منمطا.





معنى نحوي مقامي منجز
= استفهام تقريري

---

1 يس: 66.

2 يقول في باب الأمر والتحذير معلّلا إضمار الفعل المتروك إظهاره: "وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء... لكثرتها في كلامكم، واستغناء بما يرون من الحال، وبما جرى من الذكر". (الكتاب، I، 275).

وقـد فصـل البلاغـيون، ذوو الـنزعة النحوية، القول في الحال ومقتضياته ومقامـات الكـلام وتفاوتها، فبينوا أن "المراد بالحال الأمر الداعي إلى التكلم على وجـه مخصـوص أي إلـى أن يعتـبر مـع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصـية مـا، وهـو مقتضـى الحال" (المطول، 25). فالحال مقتضية واللفظ المخصوص بها مقتضى. وبحثوا فيما يمكن أن يكون من فروق بين الحال والمقام فلاحـظ "السـعد" أن "الحال والمقام متقاربا المفهوم، والتغاير بينهما اعتباري، فإن الأمر الداعي:

- مقام باعتبار توهم كونه محلا لورود الكلام فيه على خصوصية ما،
- وحال باعتبار توهم كونه زمانا له" (السابق).

فالتأكـيد أو الاسـتفهام أو التعجب وغير ذلك من خواص تراكيب الكلام التي هي معاني النحو إنما هي مقتضيات الأحوال أو المقامات. وعلى قدر التناسب بين الحـال ومقتضـاه من اللفظ تكون المزايا والفضائل وألوان الاستحسان ودرجات الـبلاغة ويكـون "ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال" (المفتاح، 7).

إن معانـي النحو هي مقتضيات أحوال المتخاطبين فقد تقتضي حالهم الذكر أو الحـذف أو الإثبات أو التوكيد أو البناء على السؤال، و"لكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضـى الآخـر". ويتجسـم كل ذلك وينجز باللفظ ظاهرا أو مضمرا، وهو في الحقـيقة معنى لأن الألفاظ في إظهارها وإضمارها وفي تركيبها وفي إعرابها إنما هـي معـان إذ "أن الإعـراب في الحقيقة معنى لا لفظ" (المقتصد، I،98). وأن العلاقـات بيـن مفردات اللغة هي معان، وكذلك الحروف فإنها تجيء لمعنى ليس غير (السابق،85).

على أن مقتضيات الأحوال التي لا تعدو أن تكون معاني النحو إنما هي أحكام الـنحو وما يتصل بها من وجوه وفروق، وهي أحكام وأصول وقواعد موجودة في اللّغـة متفرعة عن الدلالة النحوية المجردة التي لا تكتمل دلالتها المخصوصة إلا بتنزلها في مقام معين ينعكس فيها انعكاس النور في العين.

فالمقامات والأحوال دلالات مقامية، ومعاني النحو دلالات نحوية مجردة، أما الدلالـة المخصوصة المتمثلة في المقاصد والأغراض فهي استخدام لمعاني النحو فيما يطابقها من المقامات المقتضية لها بحسب تلك الأغراض والمقاصد.

والمعانـي البلاغية هي معان حاصلة من تفاعل بين الدلالة المقامية من جهة والـدلالات الـنحوية من جهة ثانية. وهو تفاعل يقوم في ظننا على قدر كبير من المخاتلـة بحيث لا ندري هل هو انعكاسي فيزيائي أو كيمياوي أو رياضي محض لذلـك فإننا سنعنى لاحقا بتحديد منهج القدامى في ضبط طبيعة هذا التفاعل وبيان وجوهه وكيفية تحقّقه.

ويمكنـنا مبدئـيا أن نتجاوز "الفرق الاعتباري" بين مصطلحي المقام والحال فنسـتخدم هـذا المصـطلح أو ذاك، وربما ملنا إلى استعمال مصطلح المقام لغلبة انتشـاره فـي الدراسـات الحديثة ومحاولات إخضاعه للدراسة وتقصي عناصره وتجريدها([1]). وقد استخدم القدامى للتعبير عن هذا المفهوم مصطلحات أخرى من مثل السياق، والمساق والوقت([2]) والموضع([3])...

إن تتبعا لهذا المفهوم مكّننا من ملاحظة أنه مفهوم مترسخ في الدرس النحوي منذ سيبويه، فصاحب الكتاب أطنب في الحديث عن حال المتكلّم وحال المخاطب، وذلك باعتبارهما جزءا من المعنى لهما محلّهما في البنية النحوية، لذلك يكون لديه الاستغناء عن بعض الألفاظ في الأبنية المنجزة بالحذف استغناء بما يرى من الحال وبما يجري من الذكر. فالحال معنى من معاني "الحضرة" تعوض اللّفظ وهو معنى أيضـا. والحـال تقتضي في كثير من الأحيان حذفا لبعض الألفاظ لأنها هي التي تشـغل محل اللفظ المحذوف، لذلك اعتبر الحذف معنى من معاني النحو، واعتبر حسن استخدامه فضلا ومزية لدى أهل المعاني والبيان.

1 - **الاستفهام الذي يكون بمعنى التقرير**:

خصص صاحب الكتاب فصولا لتحليل المعاني النحوية في تفاعلها مع المقام، وعين تولد المعاني المخصوصة من ذلك التفاعل من مثل حديثه عن تولد:

أ- <u>معنَيي التوبيخ والتقرير</u>:

فمن ذلك قولك للرجل:

- "أطربا وأنت قنّسري([4]).
- وأنت تعلم أنه قد طرب لتوبخه وتقرره" (الكتاب: 176.III).

ب- <u>معنَيي التثبيت والتوبيخ</u>:

وذلك قولك للرجل وقد رأيته في حال تلون وتنقّل:

- أتميميا مرة وقيسيا أخرى؟

"فأنـت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له. وهو عندك في تلك الحال فـي تلون وتنقل، وليس يسأله (المتكلم) مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه، ولكنّه وبخه بذلك" (الكتاب، ، 343).

---

1 يمكن أن نلاحظ هذه النزعة لدى المعتنين بدراسة نحو النص، انظر على سبيل المثال: ومحمد الشّاوش: أصول تحليل الخطاب.Le langage en Contexte de Herman Parret et al ومحمد خطابي لسانيات النص.

2 استخدم الشاطبي في الموافقات مصطلحي المساق والوقت.

3 الموضع استخدام متواتر لدى الجاحظ وابن هشام...

4 أي الكبير المسن الذي أتى عليه الدهر، والبيت للعجاج،... والدهر بالإنسان دواري أفنى القرون وهو قنسري. (لسان العرب، مادة: قنسر).

ج- معنيي التـّثبت والتنبيه:
وذلك قول القائل وقد "رأى رجلا في حال قيام أو حال قعود فأراد أن ينبهه:

- أقائما وقد قعد الناس؟
- أقاعدا وقد سار الركب؟" (الكتاب، I،341).

إن ما يلاحظ لدى سيبويه في تحليله لخروج الاستفهام عن معناه الأصلي يمكن أن يفيدنا في عرضنا لمنهج القدامى في تحليلهم لخروج ألفاظ الإنشاء عن معانيها الأصلية ويتمثل ذلك في:

أولا: إبرازه في هذه الأمثلة التي ذكرناها في (أ. ب. ج) لهذه المناقضة بين المعنى النحوي المنجز باللفظ من ناحية، والمقام الذي أنجز فيه ذلك اللفظ من ناحية ثانية. يقول صاحب الكتاب "قولك أ...؟ وأنت تعلم.. فأنت في هذه الحال تعلم..." فالاستفهام في جميع الأمثلة المذكورة ورد مقيدا بأحوال مخصوصة مناقضة له، لأنها أحوال لا تقتضي الاستخبار إذ هي أحوال واجبة الوقوع حاصلة في الخارج غير ممكنة الوقوع والمتكلم في جميعها يعلم أن المخاطب:
- طرب في المثال الأول.
- متلون في المثال الثاني،
- قائم في المثال الثالث،
- قاعد وقد سار الركب في المثال الرابع.

وإذا كان ذلك كذلك فلا يمكن للمتكلّم إلا أن يكون قد قصد إلى معنى آخر غير معنى الاستفهام المحض. ولا يمكن للاستفهام إلا أن يخرج عن معناه الأصلي الحقيقي الموضوع له.

وبذلك يكون علم المتكلم، بما هو مستفهم عنه، هو القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي للاستفهام.

ثانيا: أن المقام عند سيبويه، لا يتمثل في حال المتكلم فحسب، إذ أن حال المتكلم هي حال سببها علمه وموقفه من حال المخاطب. فالمتكلم والمخاطب كلاهما عنصر من عناصر المقام يقول سيبويه: "فأنت في هذه الحال...".

ثالثا: إلاّ أن حال المخاطب حال مركبة من حالين متناقضتين:
- حال ما كان يأتيه من طرب وحال مناقضة تتمثل في شيخوخته وهي تقتضي عكس ما كان يأتيه.
- حال تلون وتنقل وهي مناقضة للاستقرار والثبات الطبيعيين.
- حال قيام وهي حال مناقضة لحال الناس إذ كانوا قعودا.
- حال القعود المناقضة لحال الركب وقد سار...

رابعا: أن في أمر ما سبق ذكره من أحوال لطفا يدقّ تبينه، ويتمثل في أن حال المخاطب مختلفة عن حال المتكلم إذ الأول، أعني المخاطب، يعلم ما هو فيه من حال مناقضة لطبيعة الأحوال المتصلة به، ولكنه ساه أو كالساهي، وأنه غير واع تمام الوعي بما يكتنفه من أحوال، ولو كان واعيا لغير من تلك الحال، أما حال المتكلم فهي حال علم بحال المخاطب وعلم بطبيعة الأحوال المتصلة به، ووعي بما بينهما من تناقض، لذلك كان قصده إلى توبيخه وتنبيهه.

ولكنه لم يتّخذ لبلوغ ذلك القصد الألفاظ الموضوعة للتوبيخ والتنبيه، فيكون توبيخه مسلطا تسليطا فظا، ويكون لفظه عاريا ساذجا ومباشرا. وإنما عمد إلى إنشاء الإستفهام لتزجية المخاطب وسوقه وحمله على الإقرار بنفسه بما كان فيه من مناقضة لطبيعة الأحوال. والإستفهام هو ألطف طريق لبلوغ تلك الغاية وذلك لأنك بالإستفهام إنما "تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق" (المفتاح. 132). وبما أن انتقاشه في الحقيقة حاصل لك عند قولك:

-أطربا وأنت قنّسري؟

فإن الظاهر هو طلب العلم بما هو في الخارج ليحصل في ذهنك، لكن المقصود في الحقيقة هو طلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهن من سيحصله في ذهنك وهو المخاطب المطالب في الظاهر بالجواب.

فالإستفهام في مثل هذه الجمل معنى نحوي لا يزول عنها، فلا تخلو من معنى الطلب وهو ما عبر عنه سيبويه بالتثبيت والتقرير وسماه في سياقات أخرى تزجية.

أما المعنى الثّاني فهو التوبيخ والتّنبيه.

وقد جمع سيبويه عند تحليله لكل مثال من الأمثلة في(أ. ب. ج).

بين التوبيخ والتّقرير.

- والتثبيت والتوبيخ.
- والتنبيه والتّثبيت.
- فالتقرير أو التثبيت إنما هو المعنى الذي حصل من الإستفهام بعد عملية التفاعل بين المعنى النحوي والمعنى المقامي النمطي.
- والتوبيخ أو التنبيه يمثلان المعنى المقامي المراد باعتباره يسهم مع التّزجية المستفادة من الإستفهام في تغيير حال المخاطب والتأثير فيه.

وقريب من هذه الأمثلة المنمطة خروج الإستفهام عن معناه الأصلي في قولك:

- أتضرب زيدا؟ وأنت تدعي أن الضرب واقع (الكتاب، III، 175) .

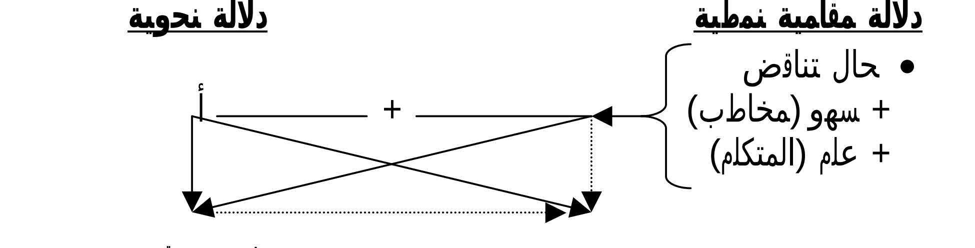
غير أن حال التناقض ضمنية، فكأنه قال أتضربه وقد فعل ما لا يقتضي الضرب؟ أو والحال أنك تعلم أنه ممن لا يضرب؟ ومن ذلك أيضا ما أطلق عليه سيبويه الاستفهام عن غير الواجب في مثل قولك:

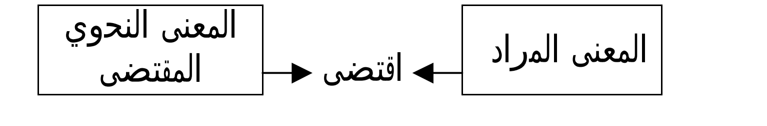
- ألست صاحبنا أو لست أخانا؟ إذا أردت التقرير والتنبيه (الكتاب، III، 187-188).

فكأن في المقام ما يدل على ما يناقض تلك الصحبة وكأن فيما أتاه المخاطب من أعمال دليلا على سهوه عن حقيقة علاقته بالمتكلم.

ويذهب الكثير إلى أن التقرير والتثبيت في هذا المثال وما شابهه إنما هو تقرير بما بعد النفي ولكنه في الحقيقة تقرير يمر حتما بعدم إمكان تقرير نفي الصحبة، فهو نتيجة لنفي عدم الصحبة – فالتقرير والتثبيت إنما هو المعنى النحوي للاستفهام في تفاعله مع معنى النفي، وهو معنى نحوي أيضا،ولكنه ألصق بالمعنى المقامي منه بالمعنى النحوي المتمثل في الاستفهام.

ألست صاحبنا؟ = 1. أ (تفعل هذا وأنت صاحبنا؟ إذن) لست صاحبنا؟ .
2. أ لست صاحبنا؟





2-2- الاستفهام الذي يكون بمعنى الأمر وما يكون بمنزلة الأمر:

وقد أورد سيبويه نوعا ثانيا من الاستفهام الذي يدخله معنى ثان دون أن يزيله عن معناه الأصلي الطلبي، وذلك عند اتصال الفعل الوارد بعد حرف الاستفهام بما يسم عدم وجوبه من مثل النون الثقيلة أو الخفيفة ف "- قولك:

- أتخبرنـّي فيه معنى "افعل"، وهو كالأمر في الاستغناء والجواب" (الكتاب: III، 516).

وهي في الحقيقة أفعال مرتبطة بمقامات معينة يكون فيها المتكلم في حال يقصد فيها الأمر أو العرض أو الالتماس بحسب مكانة المخاطب، فيتخذ لإنشاء مثل هذه المعاني معنى الاستفهام ويلحق بالفعل النون الثقيلة أو الخفيفة وهي توكيد فيدخل الاستفهام بالتوكيد معنى أقوى من معنى الاستفهام، وهو الأمر أو العرض أو الالتماس. فكأنك بإلحاقك النون المؤكدة بالأفعال غير الواجبة التي تكون بعد حروف الاستفهام أكدت رغبتك في حصول ما هو في الخارج وانتقاشه في ذهنك وربما فهمنا من كلام سيبويه أن الاستفهام باعتباره معنى نحويا لا يخلو في أي مقام أنجز فيه من تضمن لعمل الأمر فكأن الاستفهام متضمن بذاته لمعنى الأمر،

يشترطه ويقتضيه، و"ذاك لأنك تريد أعلمني إذا استفهمت" (الكتاب، III ، 513). ثم إن تلك الدلالة قد توسم بلفظ النون المؤكدة الداخلة على الفعل الوارد بعد حرف الاستفهام فيدل ذلك بالضرورة على الأمر وقد يقوي معنى الأمر المفيد للعرض إذا ورد الفعل منفيا في مثل قولك:

هلا تقولن "وهذا أقرب لأنك تعرض فكأنك قلت "افعل" لأنه استفهام فيه معنى العرض" (الكتاب، 514،III).

على أن معنى الأمر الذي ولد منه العرض في مثل هذه التراكيب معنى غير مقامي لأنه لآ يزول عنه، ويبدو أن عدم زواله عنه أدى إلى طمس ما فيه من معنى الإستفهام فاعتبرت هلاّ وألا وألاّ حروفا بسيطة دالة على الأمر سواء أكان عرضا أم تحضيضا([1]) فكأن الأمر معنى متلون بحسب المقام وموقع المستفهم عنه المطلوب وقوعه، إذ قد لا يفيد تحضيضا ولا عرضا ولا التماسا عندما يكون المطلوب في مقام عسير المنال من مثل قولك:

- ألا ماء! أوقولك:
- هل من خِلّ ودود!

فيستفاد من ذلك معنى التمني.

وخلاصة ما نذهب إليه في تأويل خروج الاستفهام عن معناه الأصلي في مثل هذه الأبواب أن في الاستفهام عموما معنى ضمنيا كامنا فيه بالتضمن وهو الأمر ، وأنه قد يرد في الذكر أو في المقام ما ينقله من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، ولكن معنى الأمر متلون بحسب المقامات والأحوال وموقع المطلوب من المتكلم فيفيد معنى العرض أو الإلتماس أو الأمر أو التمني. فكأننا إزاء عمليتين اثنتين:

- عملية أولى تتمثل في أن الاستفهام يدخله معنى الأمر.
- عملية ثانية تتمثل في ترسخ معنى من معاني الأمر بحسب المقام ترسخا قد يطمس بقية باقية من معنى الاستفهام الأول أو يكاد. ويكون ذلك خاصة عند التقاء حرفي الاستفهام والنفي، بحيث يصبحان كالحرف الواحد الذي يعتبر بسيطا ودالا على معنى مغاير للاستفهام والنفي معا.

---

1 التحضيض في مثل قولك ألا زيدا وهلا زيدا "على إضمار الفعل " .وإنما جاز ذلك لأن فيه معنى التحضيض والأمر (ن. الكتاب، I، 98).

2-3- خروج الإستفهام عن معناه الحقيقي خروجا تاما بما يمهد له من اللفظ:

وهو باب مختلف عن الأبواب السابقة لأن الإستفهام فيه تندثر آثاره اندثارا فلا يبقى من معناه شيء قليل أو كثير وذلك من مثل قولك:

أ- سواء علي أبشرا كلمت أم زيدا.
ب- ما أبالي أزيدا لقيت أم عمرا.
ج- ما أدري أزيد ثم أم عمرو
د- ليت شعري أزيد ثم أم عمرو

فهذا مما يتخذ للدلالة على غير الإستفهام مما هو ممهد له باللفظ قبل ذكر حرف الإستفهام وهي ألفاظ تصدرت الجمل وبنى عليها الكلام فأفادت هذه العناصر العاملة في جملة الهمزة:

- التسوية في (أ).
- عدم المبالاة في (ب).
- عدم اليقين في (ج).
- التمني في (د).

ولا شك أن السر في ذهاب ريح الإستفهام زحزحة لفظه عن الصدارة في هذه الجمل وخروج الهمزة عن موضعها.

والتسوية معنى نحوي منجز بألفاظ التسوية ومحقق ب(أم) وهو حرف معادل للهمزة يفيد التسوية بالوضع. (السابق، 171).

والحاصل من كل هذا أن سيبويه لم يخلط بين المعاني النحوية وما تختزله عند الإنجاز من معان مقامية متغيرة، فاتخذ له منهجا ينبني على أن المقام منعكس انعكاسا دقيقا في الأبنية النحوية المنجزة، بحيث تكون المعاني المقامية هي ذاتها معاني النحو المتمثلة في خصوصيات التركيب والإعراب، وبذلك تكون المعاني المقامية هي المعاني النحوية التي تقتضيها الأحوال المختلفة في النشاط اللغوي. وقد عرضناها في فصل المعاني البلاغية من باب الدرس البلاغي لأن البلاغة لم تنفصل من النحو في منظومة سيبويه وهي المنظومة التي تمثل النظرية اللغوية العربية القديمة عموما. إن المعاني البلاغية في هذه المنظومة هي المعاني التي سماها الجرجاني "ثواني" وهي الأغراض التي سعى سيبويه إلى تنظيمها لبيان اختصاص النحو باستيعابها والدلالة عليها. وقد حاولنا تحليل منهجه في ضبط هذا التفاعل بين المعنى النحوي"الأول" والمعنى النحوي المقامي المراد بما نظن أننا استقيناه من ملاحظاته التي أوردنا أهمها. وقسمنا دراسته لخروج الإستفهام عن

معناه النحوي الأصلي إلى ما يكون له من معان نحوية ثوان، وقد وردت مشتتة في الكتاب، إلى ثلاثة أقسام أساسية:

أولا: قسم من الكلام يكون الاستفهام فيه مفيدا لمعنى التنبيه والتقرير والتثبيت وهما بمعنى واحد، وهو حمل المخاطب وتزجيته إلى الإقرار بأن ما حصل منه ليس مما تقتضيه طبيعة الأحوال.

فالتقرير معنى حاصل من:

1- علم المتكلم بقيام المخاطب بالفعل في حال لا تقتضي القيام به، ويدل على ذلك ما يجري من الذكر وما يرى من الحال.
2- الاستفهام المتعلق لا بالفعل إذ يعلم كل من المتكلم والمخاطب حصوله، وإنما بالفعل في علاقته بالحال المذكورة أو الضمنية التي يدل عليها المقام.

فالاستفهام معنى نحوي أول والتقرير أو التثبيت معنى نحوي ثان. أما التوبيخ أو اللوم أو الردع أو غيرها فهي معان بلاغية لاتتحدد إلا بمعرفة حقيقة المقام المعين ومختلف الملابسات المرتبطة بعلاقة المتكلم بالمخاطب وعلاقة الحدث بسائر الأحداث والأوضاع الخاصة أو العامة التي تكتنفه.

إن معنى الإستفهام لا يناقض في الحقيقة المقام إلا ليولد منه بطريقة لطيفة خفية غير مباشرة معنى ثانيا. فالمعنى الحاصل بالاستفهام في ذلك المقام ولد التقرير والتثبيت وهما معنيان نحويان يسهمان في تكريس الغاية البلاغية الحقيقية المتمثلة في حمل المخاطب على الإنتقال من حال إلى حال بواسطة النحو وأحكامه ومعانيه التي تمثل أسرار البلاغة الحقيقية. وقد لاحظنا أن سيبويه يستعمل التقرير بمعنى التثبيت والتزجية لا بمعنى الإثبات كما سيذهب إلى ذلك بعض خلفه من النحاة والبيانيين.

ثانيا: قسم ثان يرجع بالأصل إلى ما بين الاستفهام والأمر من علاقة استرسال إذ كلاهما طلب، وينطلق من مبدأ أن الاستفهام يتضمن بالقوة معنى الأمر، ثم إن لفظ الاستفهام يلحق به بما يجري له من الذكر أو يعرض له من الحال ما يبعث الروح في ذلك المعنى الكائن بالقوة من مثل النون الخفيفة أو الثقيلة، أو حال يكون فيها المستفهم عنه مما يمكن للمخاطب أن يجيب عنه بالفعل لا بالقول، وذلك إذا كان في متناول يده فيكون المراد بالاستفهام العرض أو الالتماس وهما درجتان من درجات الأمر يختلفان عنه بحسب منزلة المتكلم من المخاطب، وهما إلى ذلك معنيان نحويان ولدهما الاستفهام المختزل لأحوال المقام. والاستفهام معنى نحوي مكون أساسي للمعنى الثاني وعنصر من عناصر بلاغة الكلام ولطفه.

وقد يتفاعل المعنى النحوي المتمثل في الاستفهام مع النفي وهو معنى نحوي ثان فيتولد من هذين المعنيين الأصليين معنى نحوي ثالث يكون تحضيضا أو عرضا، ويأتلف لأدائه لفظ الاستفهام مع لفظ النفي ليكونا لفظا واحدا من مثل ألا

أو هلاّ أو ألاّ وهي أدوات تنزع بائتلافها إلى الاستقلال بمعانيها المولدة فتفقد شيئا فشيئا أصل تركيبها وتعتبر أدوات بسيطة.

ثالثا: قسم ثالث تزول منه رائحة الاستفهام وتعوضها دلالة التسوية. وإنما يزول الاستفهام من هذا النوع من الجمل لأن ألفاظ الاستفهام قد زحزحت عن موضعها في صدارة الكلام، وهو الموضع الذي اعتبرناه المحدد لمعنى الكلام، وقد عوضت لفظ الاستفهام في موضع الصدارة ألفاظ مختلفة هي التي تفيد التسوية أو عدم المبالاة أو عدم اليقين أو التمني.

لقد اتخذنا من دراسة الاستفهام في خروجه عن معناه الحقيقي مثالا لبيان منهج سيبويه في تحليل وجوه ذلك الخروج ، وهو منهج نعتقد أن سيبويه اتبعه أيضا في معالجة سائر المعاني الإنشائية من مثل الأمر والنهي والنداء لدى خروجها عن معانيها الأصلية. وقد لاحظنا أنه يعتبر الإغراء من الأمر والتحذير من النهي وكذلك الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل دعاء لأنه استعظم أن يقال أمر ونهي.

وإنما بدأنا ببيان منهج سيبويه في تحليل التفاعل بين المعاني النحوية للإنشاء والمعاني النحوية المقامية النمطية التي ينجز فيها، وما يتولد عن هذا التفاعل من المعاني لأن في ذلك تمهيدا لفهم كثير مما وقع فيه القدامى بعد سيبويه من اختلاف واضطراب في معالجة هذه الظاهرة. والأغلب في ظننا أن ذلك يعود في الحقيقة إلى اختلاف في تأويل مذهب سيبويه ومنهجه في تحليل هذه المعاني النحوية الخصوصية.

3- المعاني الثواني للاستفهام عند النحاة بعد سيبويه:

عني النحاة بعد سيبويه بدراسة المعاني الثواني للإستفهام وقد توصلوا إلى وضع مقامات نمطية بينوا من خلالها أن لفظ الاستفهام قد يوزع إلى:

- استفهام يفيد التقرير والتوبيخ.
- واستفهام يفيد الأمر وما يكون بمنزلته.
- واستفهام يفيد التسوية.

وهي تمثل عموما الأبواب التي اعتمدناها عند تحليلنا لمنهج سيبويه في دراسة المعاني النحوية الثواني التي يفيدها الاستفهام. وقد نزعوا منازع مختلفة في تحليل هذه المعاني وبيان تولدها من المعنى النحوي الأصلي في تفاعله مع ما ينجز فيه من مختلف المقامات. ولئن اتفقوا في تحليل معنى التسوية معيدين تقريبا ما ذهب إليه سيبويه بشأنه (المقتضب، III، 297)، أو مضيفين بعض الأحكام التركيبية المتصلة بها من مثل ما ذهب إليه ابن هشام من أن الضابط لهمزة التسوية أنها الهمزة الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها (مغني اللبيب، I، 17) فإنهم فيما عدا ذلك اختلفوا اختلافا لا تخلو منطلقاته وأسسه من بعض الاضطراب.

ويتجلى ذلك في تحليلهم لمعنيي التقرير والتوبيخ بصفة خاصة وفي تحليل معنى الأمر وما يكون بمنزلته بدرجة أقل.

3-1- معنى التقرير والتوبيخ:

رأينا أن سيبويه يجمع بين هذين المعنيين باعتبار الأول معنى نحويا والثاني معنى نحويا مقاميا استلزمه الأول.

ويمكن تقسيم مذهب النحاة بعد سيبويه إلى اتجاهين على الأقل:

-أ- اتّجاه يمثله كل من المبرد والرضي.

ب- اتّجاه ثان يمثله ابن هشام.

والاتجاه الأول هو اتجاه نجد لدى أصحابه أحيانا جمعا بين التقرير والتوبيخ. فالمبرد يذهب إلى أن "الهمزة تفيد التوبيخ والتقرير" (المقتضب، III،292). وهذا مذهب مطابق لمذهب صاحب الكتاب كما رأينا، وقد يقتصر في سياق آخر، استنادا إلى مثال شبيه بمثال سيبويه، على ذكر معنى التوبيخ وذلك قولك:

- "أسكوتا والناس يتكلمون؟ توبخه بذلك" (المقتضب، III،289).

وإذا التوبيخ معنى مختلف عن معنى التقرير إذ يورد ما يفيد التقرير دون التوبيخ، وذلك قولك:

- "أما زيد في الدار؟" (السابق).

ثم إننا نجده يقابل بنوع من التعميم بين الاستفهام المحض من ناحية واستفهام التقرير والتعجب والإنكار من ناحية ثانية (السابق 307)، مفردا التقرير بمكان حينا، جامعا بين التعجب والإنكار حينا آخر. (السابق، 308). وهو في كل ذلك لا يحدد المراد بمعنى التقرير، ولا يعين له تركيبا خاصا إذ يستخلصه من الاستفهام المنفي وغير المنفي. وهو يجمع أيضا بين التوبيخ والإنكار باعتبارهما معنيين لمثال سيبويه:

- أقياما وقد قعد النّاس؟ ملاحظا أنّك "لم تقل هذا سائلا، ولكن قلته موبخا منكرا لما هو عليه" (المقتضب، III،228).

وحاصل هذا أن المبرد يجمع بين التّقرير والتّوبيخ حينا ويفصل بينهما أحيانا ولا يحدد معنى التقرير ولا يسعى في كل ذلك إلى وضع منهج واضح يدقّق تولّد هذه المعاني النّحوية المقامية النّمطية.

وشبيه بهذا المذهب ما نجده لدى الرضى من اضطراب في تحديد معاني الاستفهام الثّواني وضبط طرق تولّدها.

وهو كالمبرد ينطلق من مبدإ عام يقابل فيه بين الاستفهام المحض واستفهام الإنكار – وهو أيضا يربط بين معنيي التوبيخ والاستفهام ليولّد منهما قاعدة تتمثل في إضمار الفعل قياسا (شرح الرضى، I،331).

وهو إلى ذلك، يميز التوبيخ من التقرير فـ"ـقد يكون الاستفهام للتوبيخ أو للتقرير إذا دخلت همزته على جملة منفية" (شرح الرضى: ،391). وفي هذا نزعة إلى التقعيد والضبط والبحث في علاقات ثابتة تربط بين اللفظ والمعنى المولد منه. ولكن إذا كان التوبيخ مختلفا عن التقرير فإن في هذه القاعدة بعض

الاضطراب إذ الاستفهام مع النفي يمكن أن يفيد، لديه، التوبيخ كما يمكن أن يفيد التّقرير.

أ + نفي؟ ⟵ توبيخ.

أ + نفي؟ ⟵ تقرير.

ومما يؤكّد هذا الاضطراب ما يذهب إليه الرضي نفسه في موضع آخر من شرحه، حيث يعيد بناء القاعدة السابقة بناء مخالفا للسابق، ويسعى إلى تفسير معنى التّقرير فيعتبر أن "الهمزة إذا دخلت على النّفي فلمحض التّقرير أي حمل المخاطب على أن يقر بأمر يعرفه وهي في الحقيقة للإنكار، وإنكار النّفي إثبات" (شرح الرضى: 446،).

فالهمزة مع النفي لمحض التّقرير وهو حمل المخاطب... أي تزجية وطلب.

ومـن مظاهـر هـذا الاضطراب أن الرضى يعتبر الهمزة تارة حرف إنكار وكأنّهـا موضـوعة لذلك المعنى، فهي همزة الإنكار... والإنكار نفي، ونفي النفي إثبات.

- "أ" إنكار (نفي) + نفي ⟵ إثبات.
- وتـارة يعتـبر الإنكـار معنى محصلا من التقاء حرف الاستفهام وحرف النّفي.
- "أ" (؟) + نفي ⟵ إنكار وتوبيخ.

ومعـنى الإنكار، إلى ذلك، ليس معنى مختصا بهمزة الاستفهام، إذ هو معنى يدخـل ما الاستفهامية كما يدخلها معنى التّحقير ومعنى التعظيم (شرح الرضى، ، 49). ولكـنّها معـنى مسـتخاص مـن المقام فحسب ولا علاقة له بما سبق من ضوابط.

ومهمـا يكن فإن لدى الرضى نزعة واضحة إلى محاولة تقنين هذه الظواهر وضـبطها وإيجاد أحكام لها تصل بين اللّفظ والمعنى وهي نزعة أخذها عن سابقيه من مثل ابن السراج والمبرد.

فابـن السراج قارب بين معنيي التقرير والإيجاب وانتهى إلى أنّه: "إذا أدخلت على ليس ألف الاستفهام كانت تقريرا ودخلها معنى الإيجاب.

وشـبيه بهـذه الـنّزعة إلى تقنين خروج الاستفهام إلى التّقرير ما نجده لدى صاحب المقتضب. فقد اعتنى في جملة:

- أقياما وقد قعد النّاس؟

بعد ملاحظة ما تشتمل عليه من توبيخ وإنكار، بمعنى إضمار متأت من الحال مناسـب لمعنى التّوبيخ المولّد من الاستفهام، و"لولا دلالة الحال على ذلك لم يجز الإضـمار لأن الفعل إنّما يضمر إذا دلّ عليه دالّ" (المقتضب، III،228) ويكون ذلـك الـدال إما ذكرا باللفظ أو حالا حضورية إذ "المصادر لا تمتنع من إضمار أفعالها إذا ذكرت ما يدلّ عليها أو كان بالحضرة ما يدلّ على ذلك" (السابق). وهذا المذهـب في محاولة تقعيد بعض الظّواهر التركيبية الخاصة واستخراج ما يناسبها من دلالة، مذهب اختص به النّحاة. ومن الطّريف أن نجد بعضهم

يـربط بين هذا الأضمار للفعل وبين المعنى المقامي المولّد منه في الاستفهام فيستغلّ ملاحظات المبرد لبيان ما بين التركيب والدلالة من علاقة. فالرضى ينتهي إلى وضع ضابط يتمثل في أنّه "من المصادر الواجب حذف فعلها قياسا كلّ ما كان توبـيخا مع استفهام" (شرح الرضى: I، 331) وهو إذ يذكر هذه القاعدة فإنّه يمثل لها بجملتين من نوع ما ذكره المبرد وذكره قبل ذلك سيبويه وهما:

- أمكرا وأنت في الحديد؟
- أقياما وقد قعد النّاس؟

والطـريف أن الرضى يبني قاعدة نحوية تركيبية استنادا إلى المعنى المقامي والمعنى النّحوي.

معنى نحوي استفهام + **معنى توبيخ.**

حذف الفعل ونيابة المصدر عنه تأكيدا للوظيفة التأثيرية (انزجار المخاطب)

وهو يعلّل ما ذهب إليه من تعميم لهذا الحكم بأن موضع الاستفهام مع التوبيخ إنمـا وجب حذف الفعل فيه حرصا على انزجار الموبخ عما أنْكر عليه (السابق) وذلـك علـى الصفة التي يوبخ من أجلها إبرازا لما كان عليه من حال، فكأن في حـذف الفعل نوعا من إبراق اللفظ واختزاله. وكذلك فإن العناية لم تكن بالأزمنة فحـذف اللفظ المختص بالدلالة عليها وهو الفعل واقتصر على الحدث الذي كان متصلا في الحال المتمثل في المصدر المنصوب.

أما الاتجاه الثاني الذي يمثّله ابن هشام فهو مذهب جمع فيه صاحبه خلاصة ما توصـل إلـيه النحاة من ضبط وتقنين لظاهرة معاني النحو في تفاعلها وائتلافها واخـتلافها وتولّـد بعضها من بعض. واستعان في ذلك باستقراء ما توصل إليه الـنحاة المفسـرون من تحليل وتفصيل لمعاني القرآن الكريم([1]). وقد أدى به ذلك إلـى تجزئة المعاني الثّواني للاستفهام. فالهمزة تخرج عن معناها الأول الأصلي وترد لثمانية معان (مغني اللّبيب، ، 17-18) وهي:

- الإنكار الإبطالي.
- الإنكار التّـوبيخي.
- الـتقرير، ومعناه حمك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه. (السابق، I، 18).

---

[1] وهو ما يبرز من خلال استشهاده المتواتر بتفسير الزمخشري وغيره ممن عني بتفسير القرآن وإعجازه.

- والتهكّم نحو: "أصلَواتُك تَأمرك أن نَتْرك ما يعبد آباؤُنَا" [هود: 87].
- والتّعجب نحو: "ألَم تَر إلَى ربك كَيفَ مد الظِلّ"؟ [الفرقان:45].
- والاستباط نحو: "ألَم يأنِ لِلذين ءامنُوا أَنتَخْشَع قُلُوبهم لِذِكْر ا ِ" [الحديد: 1].
- والأمر.
- والتّسوية.

ولئـن حلّـل ابن هشام معاني الإنكار الإبطالي، والإنكار التّوبيخي والتّقرير، ووضـع لها ضوابط نحوية، فإنّه اقتصر على مجرد الذّكر لمعاني التّهكّم والتّعجب والاستبطاء مع إيراد مثال من القرآن لكلّ منها.

فمن ضوابط همزة الإنكار الإبطالي أنّها "تقتضي أن ما بعدها غير واقع، وأن مدعيه كاذب" (السابق، 17).

ومن ضوابط همزة الإنكار التوبيخي أنّها "تقتضي أن ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم" (السابق).

ثم أنّه يورد تحت معنى الإنكار الإبطالي أمثلة كثيرة منها قوله تعالى:
- "أفَسِحر هذَا" [الطّور: 15].
- و: "أيحِب أحدكُم أن يأكُلَ لَحم أخِيهِ ميتًا" [الحجرات:12].

ومما يورده تحت معنى الإنكار التوبيخي قوله تعالى:
- "أتَعبدون ما تَنْحِتُون [الصافات:95]
- و"أغَير ا تَدعون" [الأنعام: 40].

ويلحق بهذا النّوع قول العجاج:

أطَربا وأنَتْ قِنسرِي والدهر بِالإنْسان دوارِي؟

وقد اعتبره غيره تقريرا وتوبيخا.

إن مـا ذهب إليه ابن هشام يدلّ على نزعة لديه واضحة إلى الجمع والتجزئة والتقسـيم وتأويل المعاني النحوية المنبنية على مختلف المعطيات النحوية الصرفية والمعجمـية والإعرابـية تـأويلا يقوم على استخراج معان أخرى ترتبط بالمعاني النحوية بطريق الاستلزام أو الاقتضاء أو التشارط.

والظاهر أن هذا المذهب هو الذي ترسخ بعد ابن هشام فاعتمده المحدثون في مؤلفـاتهم البلاغـية أو المتصـلة بالمعاني البلاغية للأدوات النحوية أو الأساليب التركيبية([1]).

3- الاسـتفهام الـذي يـراد بـه الأمر وما يكون بمنزلته من مثل العرض والتّحضيض والتّمني:

[1] ن. على سبيل المثال: معجم الأدوات النحوية، محمد التونجي. وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي.

والخلاف بين النحاة في دلالة الاستفهام على هذه المعاني النحوية الثواني أقل حـدة وأخـفّ اضطرابا. فهم في الأغلب الأعم يعولون في ذلك على آراء الخليل وسيبويه.

وإذا ما استثنينا رأي ابن هشام في دلالة الاستفهام على صريح الأمر ضمن ما بوبـه من المعاني الثمانية للهمزة دون تحليل لذلك (مغني اللبيب، I،18) فإن سائر النّحاة لم يخوضوا في هذه المسألة إلا استنادا إلى تركيب حرفي الاستفهام "الهمزة" و "هـل" مـع حـروف النفي، وهو ما يؤدي إلى ائتلاف في حرف واحد غالبا ما اعتبروه بسيطا من مثل "هلاّ" و"ألا" و"ألاّ".

وقـد اعتبروا أن "ألاّ" تجيء حرف تحضيض وتكون بمنزلة (هلاّ) وهو رأي الخليل (شرح الرضى، IV،421).

وتكـون كـلّ من "أما" و"ألا" للعرض، إذ تختصان بالجملة الفعلية (السابق). ومـيزوا العـرض من التـّحضيض بكون الأول طلبا برفق والثاني طلبا بإزعاج وحثّ (مغنى اللّبيب، I،69).

ومـن المعاني النّحوية التي تدلّ عليها الهمزة المركّبة مع النفي معنى التمنّي (مغنـي اللبيـب، I، 69)، وإنما اعتبروا "التمني في معنى الأمر" (شرح المفصل، IX،37). ودلالة الاستفهام على معنى التّمني هو في الحقيقة معنى استندوا فيه إلى مذهب سيبويه.

إن الغالـب على منهج النّحاة في هذه الأبواب سعيهم إلى إيجاد مقاييس نحوية صرفية ومعجمية وإعرابية تسهم في تحديد المعنى النّحوي وتخصيصه.

لذلـك عمـدوا إلى محاولة ضبط نوع الجمل التي تدخل عليها هذه الحروف وتحديـد زمـان أفعالهـا إن كانت فعلية وإعراب أسمائها إن كانت اسمية (شرح الرضـى،VI،421 و442). ذلـك أن التّصـريف معنى كما أن الإعراب معنى وكلاهمـا يسـهم في تحديد المعنى النّحوي المراد. ومن ذلك أن (هلاّ) "معناها إذا دخلـت في الماضي التّوبيخ واللّوم على ترك الفعل. ومعناها في المضارع الحض علـى الفعـل والطّلب له، فهي في المضارع بمعنى الأمر" (شرح الرضى، IV، 442).

إن الأشـكال الـنّحوية بمخـتلف مسـتوياتها سواء كانت صرفية (تصريفية واشـتقاقية) أو معجمية أو إعرابية وما تفيده من مقولات دلالية مناسبة كانت إلى جانـب المقام دليل النّحاة في استخراج المعاني النّحوية الثّواني المخصوصة التي تمثّل مراد المتكلّم وقصده.

4- مذهب أهل البيان والأصوليين في تحديد المعاني الثواني للاستفهام:

درج البلاغـيون في ذلك على الانطلاق من مبدإ عام يتمثل في أنه متى امتنع إجراء أبواب الإنشاء على الأصل تولّد منها معان بحسب المواقع وقرائن الأحوال. وقـد سـعوا إلى تطبيق هذا المبدإ على مباحث الاستفهام والأمر والنهي والتمني

والنداء. وتميز منهجهم عموما بتحليل المقام وتتبع قرائن الأحوال المانعة من إرادة المعنى الحقيقي للوصول إلى المعنى الثاني المراد.

والأصوليون لم يخالفوا ذلك في العموم، ولكنهم عادة ما يقيدون قرائن الأحوال بالمقاصـد الشرعية وبأسرار التكليف (الموافقات، I،23). فكانت مقاصد الشريعة ومـا تشـتمل عليه من أسرار التكليف تمثل لديهم القرينة الأساسية التي ينبغي أن تجتنى على أساسها المعاني.

فلئـن كانـت دراسـة أهـل البـيان لمعاني الإنشاء دراسة للكلام عامة فإن الأصـوليين عمـدوا إلى دراسة خطاب مخصوص هو القرآن في مقامات خاصة وسـياقات مقيدة، وذلك لأجل غايات خاصة أيضا تتمثل في تحديد أحكام الشريعة، فكانت عنايتهم بالأمر والنهي لذلك أوفى وأوفر من غيرها من أنواع الإنشاء.

وقـد درس هؤلاء وأولئك ما قد يتفرع عن معنى الاستفهام الأصلي من معان بحسـب المواقـع والسياقات وقرائن الأحوال. وأثاروا مسائل من أهمها ما يتصل بدلالة الاستفهام على التقرير والتوبيخ.

4-1- معنى التقرير والتوبيخ:

بيـنا ما شاب آراء النحاة بعد سيبويه من اضطراب في هذا المجال منعهم من وضع ضوابط دقيقة وأوقعهم في كثير من الخلاف والتردد.

- والظاهـر أن ذلـك قد انتقل إلى الدرس البلاغي فكان له أثره المباشر في عمـل أهـل البيان والأصوليين إذ لاحظوا ما وقع فيه أهل الصناعة من اضطراب في تحديد منهج دقيق لتولّد المعاني الثّواني المخصوصة، ولكنّهم لم يستطيعوا التخلص من ذلك لما تميز به تفكيرهم وعملهم من نزعة عامة إلى الاتباع.

والزركشـي يلاحـظ هذا الاضطراب في كلام النحاة والبلاغيين لدى تحليلهم لتولّد المعنى المخصوص عند خروج الاستفهام عن حقيقته الأولى فيتساءل عن:

1- "هـذه الأنـواع من خروج الاستفهام عن حقيقته في النفي: هل تقول إن معنى الاستفهام فيه موجود، وانضم إليه معنى آخر؟ أو تجرد عن الاستفهام بالكلية؟" (بـرهان الزركشي، 347). ويجيب بأنّه "لا ينبغي أن يطلق أحد الأمرين، بل منه ما تجرد كما في التّسوية، ومنه ما يبقى، ومنه ما يحتمل ويحتمل، ويعرف ذلك بالتأمل". (السابق).

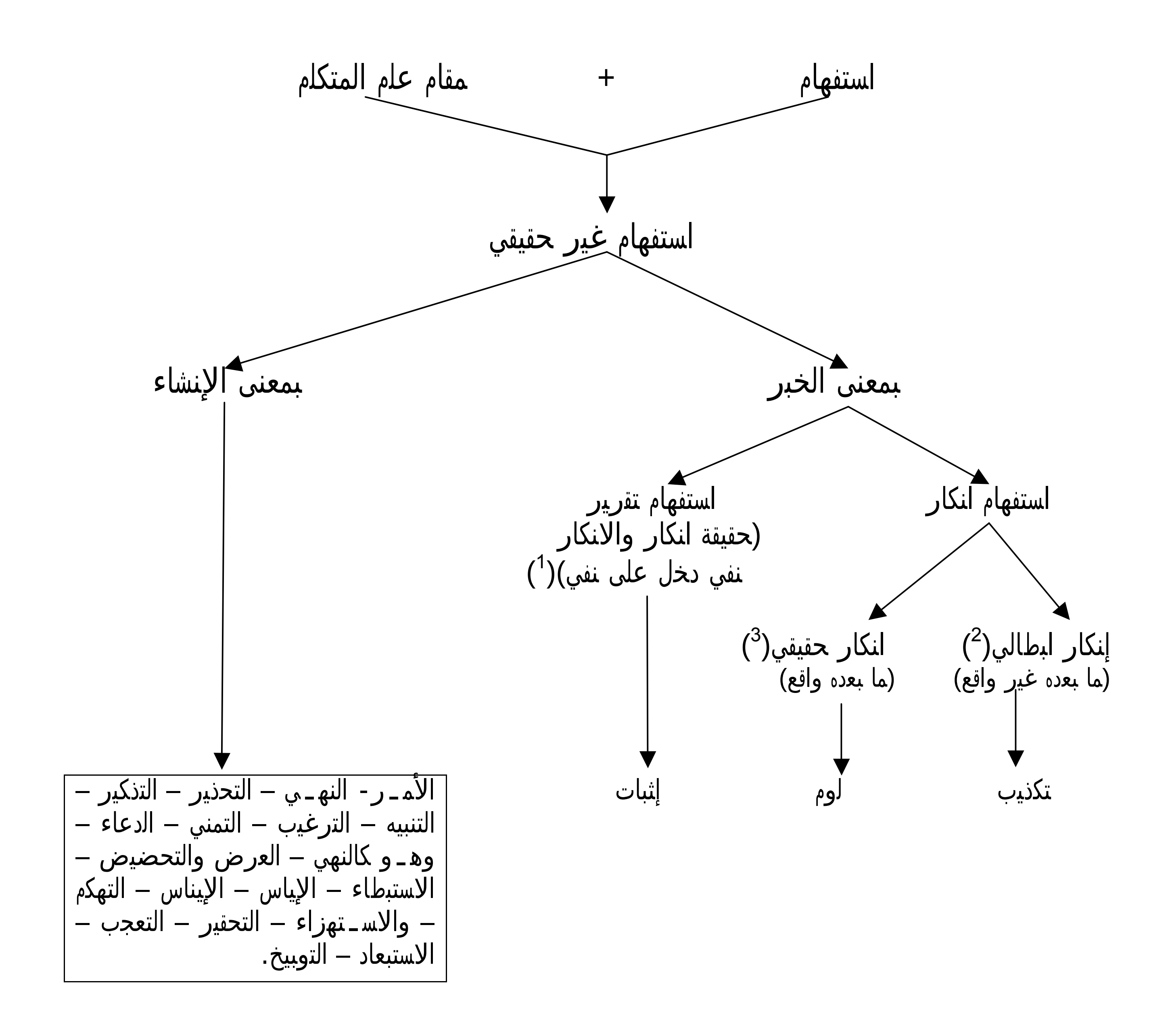
2- الأنـواع المذكورة في التثبيت: "هل المراد بالتقرير الحكم بثبوته فيكون خبرا محضـا. أو إن المـراد إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام تقرير المخاطب، أي يطلب أن يكون مقررا به؟"
ويجيب بأن "في كلام النحاة والبيانيين كلاًّ من القولين". (السابق).

إن في مثل هذه التساؤلات دليلا على وعي عميق بلطف المسألة ودقّة مسالكها وعسر الانتهاء فيها إلى قول فصل. وأن فيها دليلا على نزعة صاحبها إلى البحث عـن مـنهج دقيق يضبط هذه المعاني ويختبر ما يبقى منها وما يزول بعد ائتلافها وانضمام بعضها إلى بعض.

علـى أن الزركشي، على وعيه الكامل بما ذكرنا، لا ينتهي إلى وضع تبويب للمعانـي التي يخرج إليها الاستفهام يتجاوز به ما وقع فيه السابقون من اضطراب فقـد غلبت عليه نزعة الاتباع فيما يظهر، واتكل في تبويب تلك المعاني على ابن هشـام([1]) خاصة، وإن كان قد جاوزه في بعض التفريعات والتقسيمات. ويمكن أن نمثّل لما ذهب إليه من تبويب بالشكل المختزل التالي:

---

1 وهـو مصري مثله قريب العهد به، فابن هشام توفي سننة 761هـ والزركشي توفي سنة 794هـ.



إن المتتبع لما في هذا الشكل من تقسيمات يمكنه ملاحظة:

أ- أن الزركشـي أعـاد تصنيف ابن هشام لمعاني الاستفهام في بناء جديد لا يخلـو مـن إغـراء. ومما يدلّ على أنّه اعتمد تصنيف ابن هشام تقسيمه

---

1 يستشـهد بقول ابن السراج: فإذا أدخلت على ليس ألف الاستفهام كانت تقريرا ودخلها معنى الإيجاب. (البرهان، II،33)

2 عبارة ابن هشام (مغني اللبيب، I،17)

3 ابن هشام سماه الإنكار التوبيخي (ن.مغنى اللبيب I،17)

معانـي الاسـتفهام إلـى إنكار إبطالي وإنكار حقيقي (توبيخي) من ناحية وتقرير من ناحية ثانية واستناده في الفصل بين نوعي الإنكار إلى مقاييس ابن هشام: (ما بعده غير واقع / ما بعده واقع...).

ب- أن هـذا التبويب الجديد تميز بجمع استفهام الإنكار واستفهام التقرير تحت بـاب الاسـتفهام بمعنى الخبر، ومحصله أن كلاّ من التكذيب واللّوم وهو ألطـف مـن التوبـيخ، والإثبات المستخاص من التقرير، إنّما هو بمعنى الخبر. وفي ذلك نظر.

ج- أنّـه مـيز استفهام الإنكار من استفهام التقرير بأن جعل الهمزة في الأول داخلـة على كلام مثبت وفي الثاني أي التقرير داخلة على نفي، وهو نوع من الضبط لا نجده عند غيره.

د- أن المعانـي المولـدة بمعنى الإنشاء لا يمكن أن تدلّنا إلا على غلبة نزعة الإتباع والجمع لدى الزركشي، وأنّ إيراد معنى التّوبيخ ضمنها، وهو لوم "مقوى" مع أن اللّوم صنف ضمن استفهام الإنكار الذي يكون بمعنى الخبر، من شأنه أن يدك هذا التّبويب كلّه دكّا.

ومهمـا يكـن فـإن البلاغيـن وسعوا من مجال خروج الاستفهام عن معناه الحقيقـي، وذلـك بالـنّظر فيما تفيده قرائن الأحوال أساسا سواء كان الاستفهام بالهمـزة أو بغيرها من الحروف والأسماء. فالمبدأ عندهم أن "هذه الكلمات كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن" (المطول، 226. والمفتاح، 135).

فيقال:

- ما هذا؟
- ومـن هـذا؟ لمجرد الاستفهام ويمكن أن يراد بهما في مقام معين الاستخفاف والتّحقير. (المفتاح، 135).
- وأي رجل هو؟ للتعجب.
- وكم دعوتك؟ للاستبطاء.
- وكيف تؤذي أباك؟ للإنكار... (السابق).
- وقد سعوا إلى تحليل بعض النّماذج من استخدام الاستفهام في غيره معـناه الأول وأجادوا ذلك في الغالب. على أنّهم قد توصلوا أحيانا إلى اجتناء معنى نحوي مخصوص واحد واضح المجتني من مثل توليد السكاكي لمعنى التّمني في جملة:
- "هل لي من شفيع، في مقام لا يسع إمكان التّصديق بوجود الشّفيع" (السابق، 132).

وتوصـلوا أحـيانا أخـرى إلى اجتناء معان متقاربة متعددة ومن ذلك تحليل صاحب المفتاح لقوله تعالى:

"كَيفَ تَكْفَرون بِا ـ وكُنْتُم أمواتًا فَأحياكُم" [البقرة:28].

إذ جعـل التّعجـب معنى للاستفهام ثم أضاف بعد ذلك في آخر التحليل معاني أخـرى غير التّعجب. وقد اعتمد في تحليل معنى الاستفهام مراحل نبوبها كما يلي بحسب ما ذهب إليه السكاكي:

أ- حال الكفّار حين صدور الكفر منهم لا يخرج أمرهم عن حالين:
- إما حال علم بشأن ا .
- وإما حال جهل بذلك الشأن.

ب- كـيف: للسؤال عن الحال. فكأنه قال: أفي حال العلم تكفرون أم في حال الجهل بشأن ا ؟

ج- قيد السؤال بحال معلومة لديهم: كنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم...

د- كيف تكفرون والحال حال علم بهذه القصة المعلومة.

هـ- صار الكفر أبعد شيء عن العاقل فصار وجوده منه مظنّة التّعجب إذ الحالـة تـأبى أن لا يكـون للعـاقل علم بأن له صانعا قادرا عالما حيا سـميعا... فصـدور الفعل عن القادر مع الصارف القوي مظنّة تعجب وتعجيـب وإنكـار وتوبيخ فصح أن يكون قوله تعالى: كيف تكفرون... تعجبا وتعجيبا وإنكارا وتوبيخا.

إن ما يمكن ملاحظته في هذا التّمشي في التحليل أن صاحبه:

- اعتمد فيه منهج التّدرج، وسلك مسلكا استدلاليا لا يخلو من تماسك.
- توخّـى ضمن ما توخّاه تحويل الاستفهام بـ(ـكيف) إلى استفهام بالهمزة وهـو مـبدأ أقـره جـلّ النّحاة إذ اعتبروا الهمزة مقدرة في جميع أنواع الاستفهام، وقد أعانه هذا التّحويل على حسن بناء استدلاله.
- اعتـبر أن العامل الأكبر في توليد المعاني التي انتهى إليها يتمثل في حال المخاطبيـن وهـي حـال يتوصل إليها باالذِكر. وقد تمثّل ذلك في العمدة والتّوسعة التي هي قيد حالي لها.
- وقـع في بعض الاضطراب إذ عاد إلى استخدام اسم الاستفهام (كيف) بعد أن حوله إلى همزة، فلم يقف على ما في معنى الاستفهام بالهمزة ومعادِلها (أم) من معنى التقرير. وهو بذلك قد فرط في المعنى بعد أن أمسك بآلاته.
- انتهى إلى اجتناء معان نعتبرها مختلفة كاختلاف التّعجب عن التّعجيب، إذ في التّعجب انفعال ودهشة تقف عند المتكلّم، وفي التّعجيب حمل للغير على الانفعـال والدهشـة، وكاخـتلاف الإنكار عن التّوبيخ فهما معنيان يختلف أحدهمـا عن الآخر ويختلفان معا عن التعجب والتّعجيب، وإن كانت جميع هذه المعاني مترابطة على سبيل التّشارط والاقتضاء والاستلزام.
- لـم يسـع استنادا إلى هذه الجملة إلى محاولة تنميط مثل هذه المعاني. بما يسهل ضبطها وتحديدها.

وقـد نهج أهل البيان، وهم نحاة بالأصل، في أغلب الأحيان منهج النحاة، أهل الصـناعة، فـي محاولة وضع بعض الضوابط لتمييز المعاني المولّدة بعضها من

بعـض فقدموا ذلك تقديما لا يخلو من طرافة من مثل قول صاحب المفتاح "فتذكّر ولا تغفل عن التفاوت بين:

- الإنكـار للتوبيخ على معنى لِم كان؟ أو لِم يكون؟ كقولك أعصيت ربك؟ أو أتعصي ربك؟
- والإنكـار للتكذيب على معنى لم يكن أو لا يكون... (المفتاح، 136). وقد رأيـنا أن ابن هشام والزركشي قد انتفعا بهذا الضبط لدى تبويبهما للمعاني البلاغية للاستفهام.

علـى أنهم لم ينجحوا دائما في محاولاتهم لوضع بعض الأحكام العامة لعموم ماأعـتمدوه من استدلال ودقّة ما استخدموه فيه من معان – من ذلك ما سعي إليه صـاحب المطول من سحب قاعدة الإثبات بإنكار النّفي([1]) على المثال الذي يولّد منه معنى العرض وهو "ألا تنزل تُصِب خَيرا"؟

فقد ذكر أن الهمزة فيه همزة الاستفهام دخلت على الفعل المنفي وامتنع حملها علـى حقيقة الاستفهام، "لأنه يعرف عدم النّزول مثلا، فالاستفهام عنه يكون طلبا للحاصـل فيـتولّد مـنه بقرينة الحال عرض النزول على المخاطب وطلب منه" (المطول، 243-244). وفي هذا من التماسك ما لا ينكر.

وقد تميز الأصوليون بتحقيق النظر في اختلاف لفظ الاستفهام في القرآن عنه في كلام البشر.

وهو مبدأ توسع في تحليله الأصوليون على وجه الخصوص. ذلك أن منزعهم العقـدي منعهم من اعتبار أن يصدر عن ا تعالى في خطابه المباشر([2]) استفهام حقيقي بمعنى طلب خبر ما ليس عنده، ذلك أن الخالق تعالى حوى العلوم كلّها إذ خلقهـا، لذلـك اعتـبروا أن "ما جاء على لفظ الاستفهام في القرآن فإنّما يقع في خطاب ا تعالى على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل، فسيفهم عنه نفسه تخبره به([3])، إذ قد وضعه ا عندها". (الزركشي، 327) وذلك أن "الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء وإنّما يستفهمهم ليقّررهم ويذكّرهم أنّهم قـد علمـوا حقّ ذلك الشيء. فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن، وهو عن كلام البشر مختلف". (السابق)

وقد أدى هذا إلى تأويل مثل قوله "هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسان حِين مِن الدهر لَم يكُن شَيًئا مذْكُورا" [الدهر:1] بأن حرف الاستفهام ورد بمعنى قد.

---

[1] مفادها أن "إنكار النفي إثبات".

[2] إشارة إلى أن الاستفهام الحقيقي يمكن أن يرد في القرآن على لسان البشر كما هو الشأن في القصص القرآني.

[3] أي أن المخاطب عنده علم بالجواب إثباتا كان أو نفيا، وذلك العلم حاصل في نفسه وضعه ا عنده، ولكنه غافل عنه، لذلك فإن الاستفهام في القرآن هو كالحثّ على التذكّر.

المعاني السياقية للاستفهام في الكتب المدرسية:

يخـرج تركيـب الاستفهام عن أداء هذه المعاني الأصلية ليفيد معاني بلاغية يشـترك فـي تعيينها المقام والسياق اللّفظي، ومن أمثلة هذه المعاني مما نجده في كتب البلاغة المدرسية:

- التمنّي : أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلّي إلى من قد هويت أطير؟
- الأمر : كقوله تعالى : "فَهلْ أَنْتُم منْتَهون"([1]) ، أي انتهوا.
- النّهي : "أَتَخْشَونَهم فَاللّه أحق أن تَخْشَوه؟"([2]) قرآن.
- التّعجيز: "من ذَا الذِي يشْفَع عِنْده إلاّ بإذْنِه؟"([3]) قرآن.
- الإنكار : "أغَير اللّهِ تَدعون؟" ([4]) قرآن.
- اللّوم و العتاب: أيهون عليك ما آلت إليه أحوالنا؟
- التحسر : أين منّا غرناطة وهي روض : تتبارى على رباها الشّوادي؟([5])
- الحيرة : ما هذا الذي يحدث في نفسي ؟
- التّحقير : من أنت حتّى تجرأ على مخاطبتي ؟
- التّقرير : "ألَم نَشْرح لَك صدرك؟"([6]) قرآن.
- الاستبعاد: "أنى لَهم الذِّكْرى و قَد جاءهم رسولٌ مبِين"([7]) قرآن.
- التّوبيخ والتّقريع: إلام الخلاف بينكم إلام وهذي الضجة الكبرى علام([8]).
- الوعيد : "ألَم تَر كَيفَ فَعلَ ربّك بِعادٍ"؟([9]).
- التعجب : " ما لِهذَا الرسول يأْكُلُ الطعام ويمشِي فِي الأَسواق؟([10]).
- العرض : هل تستطيع فتح النّافذة؟

---

1 - المائدة 91.
2 - التّوبة 13.
3 - البقرة 255.
4 - الأنعام 40.
5 - الرندي.
6 - الشّرح 1.
7 - الدخّان 13.
8 - شوقي.
9 - الفجر 6.
10 - الفرقان 7.

الأمر

حـده: هو طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ومعنى الاستعلاء والإلـزام أن في الوضع اللّغوي جعلت صيغ الأمر أصلا لمن له كفاية تمكّنه من أمر المخاطب وإلزامه بفعل ما يأمره به.

صيغ الأمر :

1- فعل الأمر: "يا أيّها الذّين آمنُوا إذَا تَداينْتُم بِدينٍ إلى أَجلٍ مسمى فَاكْتُبوه" ([1]).
2- المضارع المقترن بلام الأمر: ولِيكْتُب بينَكُم كاتِب بِالعدل ([2]).
3- اسـم الفعـل الـدال على الأمر: ويكون اسم الفعل حقيقيا أو منقولا عن جار ومجرور:
- رويدك لا يخدعنك الربيع   وصحو الفضاء وضوء الصباح (الشابي)
- إليك الكتابَ.
4- المصدر النائب عن فعل الأمر : سعيا إلى الخير.

المعاني السياقية للأمر:

تخـرج صـيغ الأمر عن أداء معناها الأصلي وهو طلب القيام بالفعل على سبيل الاسـتعلاء والإلزام فتفيد معاني يحددها المقام و السياق اللّفظي ، و من أمثلة هذه المعاني :

- الدعاء: وهو طلب من الأدنى (الإنسان) إلى الأعلى وهو اللّه سبحانه و تعالى : رب اغْفِر لِي و لِوالِدي، و لِمن دخَلَ بيتِي مؤْمِنًا([3]).
- التّحقير: دع المكارم لا ترحل لبغيتهـا   واقـعد فأنت الطـاعم الكاسـي([4])
- التمنّي : ألا أيها الليل الطويل ألا انجل   بصبح و ما الإصباح منك بأمثل([5])
- الإباحة: "كُلُوا واشْربوا حتى يتَبين لَكُم الخَيطُ الأبيض مِن الخَيطِ الأسودِ"([6])
- التّعجيز: "و إن كُنْتُم فِي ريبٍ مِما نَزلْنَا علَى عبدِنَا فَأْتُوا بِسورةٍ مِن مِثْلِهِ وادعوا شُهداءكُم مِن دون اللّهِ إن كُنْتُم صادِقِين"([1]).

---

[1] - البقرة : 282.
[2] - البقرة : 282
[3] - نوح : 28.
[4] - المتنبي.
[5] - امرؤ القيس.
[6] - البقرة : 187.

- الإلتماس: يا نديمي من "سرنديب" كفا عن ملامي وخلّياني لما بي
- التّسوية: "فَاصبِروا أو لاَ تَصبِروا سواء علَيكُم"(2)
- التّهديد : "اعملُوا ما شِئتُم إنّه بِما تَعملُون بصير" (3)

- المعاني الثواني النحوية المقامية للأمر:

5-1- منهج النحاة في ضبط خروج الأمر والنهي عن معناهما الأصلي لإفادة المعاني النحوية المقامية.

الأمر معنى من معاني الإنشاء، والنهي من الأمر لأنه في الحقيقة أمر بالكفّ عن إيقاع الفعل. والأمر والنهي عند النحاة صيغ مخصوصة مجردة، لذلك فإنه لا يشترط فيهما استعلاء أو غيره مما سيخوض فيه الأصوليون بصفة خاصة. فالأمر صيغة "يصح أن يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب". (شرح الرضى، VI، 1239).

ولكن الأمر يختص عند إنجازه في المقامات المختلفة. وقد سعى النحاة إلى ضبط هذا الاختصاص فلاحظوا عموما أنه اختصاص يجري على مستويين اثنين:

- مستوى أول يتحدد بمنزلة المتكلم من المخاطب.
- مستوى ثان يتحدد بموقف المتكلم من المخاطب وغرضه ومقصده وما يأتلف مع ذلك من ألوان المقامات. ويمكن أن نقسم هذا المستوى إلى قسمين: قسم يحافظ فيه لفظ الأمر على هيئته، وقسم ثان يضمر فيه لفظ الأمر قياسا.

ويتوزع الأمر استنادا إلى المستوى الأول إلى:

- أمر إذا خاطبت من هو دونك. وفي ذلك اتفاق بين النحاة.
- دعاء إذا خاطبت من أنت دونه.
- التماس إذا خاطبت من يساويك (مغنى اللّبيب، I،223).

والنحاة يميزون الأمر باعتباره معنى نحويا من الدعاء والالتماس باعتبارهما معنيين نحويين مقاميين منمطين فـ"سمي النحاة جميع ذلك أمرا... وكذا الكلام في النّهي فإن قولك "لا تؤاخذني" في نحو "اللهم لا تؤاخذني بما فعلت" نهي في اصطلاح النحاة، وإن كان دعاء في الحقيقة" (شرح الرضى، IV، 124).

---

1 البقرة : 23.
2 الطور : 16.
3 فصلت : 40.

أمـا المسـتوى الثاني من اختصاص الأمر استنادا إلى موقف([1]) المتكلم من المخاطب وغرضه وما يأتلف مع ذلك من ألوان المقامات فهو يتوزع إلى:

أولا: قسـم يحـافظ فـيه الأمر على ألفاظه، فلا يعتبر في استخلاص المعنى البلاغي منه غير المقام. ومن ذلك:

- التهديد، في قوله تعالى: "ومن شاء فليكفر" (مغني اللبيب، 223).
  علـى أن النحاة لم يعتنوا اعتناء خاصا بهذا النوع من المعاني لقلة رضوخها للضوابط النّحوية.

ثانـيا: قسـم ثـان لا يحافظ فيه الأمر على ألفاظ الأمر، إذ تغني عنها قرائن الأحـوال فتضمر وجوبا لاختصاصها بالدلالة على معان معينة. و"قرائن الأحوال قد تغني عن اللفظ وذلك أن المراد من اللفظ الدلالة على المعنى، فإذا ظهر المعنى بقريـنة حالية أو غيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق" (شرح المفصل، I، 125). ويـبدو أن كـثرة الاسـتعمال أدى إلـى هذا الاختصاص ونتج عن ذلك وجوب الإضـمار، ويـتجلى ذلك في الإغراء والتّحذير حيث يضمر فعلهما قياسا (شرح الرضى I، 485).

والحاصـل من هذا أن في الإضمار للفظ الأمر دليلا على خروجه عن معناه الأصـلي إلـى الإغـراء أو التحذير، فينوب عن فعل الأمر منصوب معمول له مغرى به أو محذّر منه من مثل:

- أخاك أخاك، حيث أضمرت الْزم.
- رأسك. حيث أضمرت نح أو بعدْ.

كما ينوب اسم الفعل من مثل وراءك وإليك، إذا حذّرته (المقتضب، I، 202). أو علـيك، ودونك، إذا أغريته. (السابق) ولا يخفى ما في كل هذا من مناسبة بين اللفـظ والمعنى إذ يحقق الإضمار إيجازا ونوعا من المبالغة تكون ضرورية في مثل هذه المقامات، وتقوم المخاطبة وحضور المأمور مقام اللفظ بالأمر. (ن.شرح المفصل، IV، 29).

5-2- منهج أهل البيان والأصوليين في تحديد خروج الأمر عن معناه الحقيقي:

قسـمنا خـروج الأمـر عـن معناه الحقيقي عند النحاة لدى إنجاز عمله في المقامات النمطية المختلفة إلى قسمين:

- قسم تعتبر فيه منزلة المتكلم بالنّظر إلى المخاطب.
- قسم يعتبر فيه موقف المتكلم وغرضه من عمل الأمر ووزعناه إلى نوعين:

---

[1] الفرق بين منزلة المتكلم من المخاطب وموقفه منه هو أن المنزلة تعني مكانة هذا من ذاك من حيث العلو والرفعة أو المساواة، أما الموقف فهو أخص من المنزلة لأنه يعين ما يريده المتكلم من المخاطب سواء كان عاليا أو هابطا أو مساويا له، والمراد يمكن أن يكون تهديدا أو استرحاما أو إظهارا للخضوع...

- نوع تحافظ فيه ألفاظ الأمر على هيئتها.
- نوع تضمر فيه ألفاظ الأمر وتنوب عنها المنصوبات.

ولا يمكنـنا أن نحـتفظ بهذا التبويب لدراسة هذه المسألة في كتب أهل البيان والأصوليين لاختلاف منهجهم في تناولها بالبحث، واختلاف غاياتهم ومصطلحاتهم عن غايات النحاة ومصطلحاتهم. وقد يكون هذا الاختلاف جليا لدى الأصوليين إلاّ أنّـنا نـزعم أن أهـل البيان قد ورد درسهم لمعاني الأمر والنهي بصفة خاصة، مختلطا بمذاهب الأصوليين فيه ومصطلحاتهم ومعانيهم.

ذلك أن الدرس الأصولي عني عناية خاصة بالأوامر والنواهي باعتبارها من أبواب الأدلة التي تستنبط منها الأحكام الشرعية المتصلة بالتكليف.

وقـد اشـترط الأصوليون الاستعلاء في حد الأمر والنهي فعرفوا الأمر بأنّه: "طلب الفعل على وجه الاستعلاء... وقولنا على جهة الاستعلاء احتراز عن الطلب بجهة الدعاء والالتماس" (ن. الإحكام، الآمدي، II،126)، مما يستلزم أن يكون:

أ- طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى أمرا، فيقتضي الاستعلاء.

ب- طلب الفعل من المساوي إلى مساويه التماسا، ويقتضي التّلطف.

ج- وطلب الفعل من الأدنى إلى الأعلى دعاء، ويقتضي التضرع.

علـى أن البلاغيين وبعض الأصوليين لم يشترطوا الاستعلاء يقول السيوطي: "والمخـتار وفاقا لأهل المعاني وبعض الأصوليين كإمام الحرمين والإمام الرازي والآمـدي وابن الحاجب عدم اشتراط الاستعلاء فيهما سواء صدرا من العالي في الواقع أم لا" (إتمام الدراية للسيوطي، حاشية المفتاح، 143). والآمدي يلاحظ بعد أن ذكـر مذاهـب الفقهاء وأئمة الأصول أن "مدلول الأمر طلب الفعل لا غير". (الاحكام، للآمدي، 133).

ومـن البلاغييـن مـن ذهـب إلى أن "الأظهر" في ألفاظ الأمر والنهي أنها "موضـوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء" (المفتاح، 137). وأن "توقّف ماسواه مـن الدعاء والالتماس والنّدب والإباحة والتهديد، على اعتبار القرائن" (السابق). ويتولّد بحسب تلك القرائن ما يناسب المقام من المعاني البلاغية من مثل:

- استعمال الأمر على سبيل التضرع المولّد للالتماس والسؤال.
- واسـتعماله فـي مقام الإذن لمن يستأذن في ذلك بلسانه أو بلسان حاله، وهو المولّد للإباحة.
- واسـتعماله فـي مقـام تسـخّط المأمور به المولّد لمعنى التهديد (السابق).

ويـبرز اختلاط معاني الأمر والنهي بالدرس الأصولي في استخدام البلاغيين لمعـان تتصـل بالأحكام الشرعية من مثل الوجوب الذي يقتضيه الأمر والمعرى عن قرائن الأحوال التي تخرجه إلى الالتماس أو الإباحة أو النّدب. والوجوب في اللغة يطلق بمعنى الثبوت و"أما في العرف الشرعي فقد قيل: هو ما يستحق تاركه العقاب على تركه" (الإحكام، الآمدي، I ،91).

ومقتضى الأمر عند الأصوليين عموما الوجوب فإن كان لمصلحة أخروية فهو المندوب وإن كان لمصلحة دنيوية أفاد معنى الإرشاد (الإحكام، II،133).

ومقتضى الأمر عند البلاغيين الوجوب بالمعنى الشرعي إذا كان المتكلم أعلى رتبة من المأمور وهو أصل الاستعمال (المفتاح، 137).

إن مـنهج البلاغيـن عموما في اجتناء معاني الأمر والنهي استند إلى مبدئهم العام الذي يعتبر "أنها تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام" ولكنّه مذهب لم يفلـت من التّأثر بمنهج الأصوليين ومعاني علمهم، فتسربت إلى معانيهم البلاغية المولـدة مفاهـيم عقديـة هي في الحقيقة أحكام شرعية من مثل الإباحة والنّدب والوجوب والتّحريم...

أمـا مذهـب الأصوليين فهو مذهب لم يخرج معاني الأمر والنهي في الغالب الأعـم عـن معاني الأحكام الشرعية، فالمعنى الأصلي للأمر الوجوب والمعنى الأصـلي للنهي التحريم، ثم يتولد بالقرائن المقامية معان من مثل النّدب والإباحة وبـيان العاقبة والإرشاد. وقد اتّفقوا على إطلاق صيغة الأمر بإزاء خمسة عشر اعتبارا (الإحكام، الآمدي، II، 132، والمستصفى، للغزالي، I، 418). وأطلقوا صـيغة النهي على سبعة أوجه تتحدد بالمقام والمساق. ولكنهم اختلفوا في اعتبار الوجوب أو التحريم وضعا أصليا للأمر والنهي.

فكان "لا بد من البحث عن الوضع الأصلي في جملة ذلك ما هو، والمتجوز به مـاهو... (فـ ـ)ـقال قوم هو مشترك بين هذه الوجوه الخمسة عشر كلفظ العين" (المستصـفى، الغزالـي، I،418) وذهب الشافعي في كتاب أحكام القرآن إلى أن الأمر متردد بين النّدب والوجوب، وأن النّهي على التحريم (السابق: 426). ولا يخفـى مـا في ذلك كلّه من خروج عن مسالك البحث في اللغة ومعاني إنجازها بـالكلام ودخـول فـي مسارب علم أصول الفقه وخصوصية معانيه واعتباراته وغاياته.

النّهي

حـده: هو طلب الكفّ عن الفعل و الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام فهو أمر سالب.

صيغه: للنّهي صيغة واحدة وهي الفعل المضارع المقترن بلا النّاهية الجازمة.

مثال: لا تترك الغضب يعمي بصيرتك.

معانيه السياقية :
يخرج النّهي عن معناه الأصلي المتمثّل في طلب الكفّ عن الفعل ، فيؤدي معاني أخرى حددها المقام والسياق اللّفظي من مثل :
- الدعاء : " ربّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبنَا بعد إِذْ هديتَنَا"([1]).
- الإستعطاف : لا تحسبوا نأيكم عنّا يغيرنا إن طالما غير النّأي المحِبين([2])
- الالتماس : لا تطل بعادك عنّا فيزداد شوقنا.
- التمنّي : أعيـني جـودا ولا تجمـدا ألا تبكيان لصخر النـدى([3]).
- التّحقير : لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد([4]).

---

[1] آل عمران 8.
[2] ابن زيدون.
[3] الخنساء.
[4] المتنبي.

النّداء

حده: هو طلب المتكلّم إقبال المخاطب عليه إقبالا حسيا أو معنويا.
فيفترض بذلك وجود داع و مدعو و أداة مبلغة للنّداء. والنّداء أسلوب إنشائي طلبـي من نوع خاص، ذلك أنّه يرسخ كون اللغة ظاهرة تواصل اجتماعية، وهو يمثّل بخصائصه الصوتية مظهرا متميزا لتطور البنى النحوية وانتهائها إلـى شكل خاص من التصويت الذي يفيد التّنبيه بنفسه([1])، وهو ما جعل في نظرنا أداءه متقاربا في جميع اللّغات البشرية.

أدوات النّداء: يتّفق البلاغيون على ستّ أدوات ويقسمونها إلى:

1- ما يفيد نداء القريب، وهي الهمزة وأي.
2- ما يفيد نداء البعيد، وهي : يا.
وقد تركب بالهمزة ← أيا.
وتقلب الهمزة ها وهو تعبير صوتي متواتر في العربية ← هيا.
3- ما يفيد معنى خاصا من استغاثة و ندبة : وا.

وتقسيم الأدوات إلى ما وضع لأداء نداء القريب وأداء نداء البعيد إنّما هو أمر متصل بالوضع ذلك أن الاستعمال قد يخرج عن هذا التقعيد فيستعمل للبعيد ما وضـع للقريـب والعكـس بـالعكس وهو أمر يحكمه السياق ويلحق بالمعاني السياقية للنداء وقد يكون مقصودا لإفادة الاستحضار أو المدح أو الذم...

معانيه السياقية :
يشـترك فـي أداء المعاني السياقية للنداء معنى الأداة و السياق اللفظي الدلالي المعجمي والمقام الذي حصل فيه النداء وما يسبق النّداء من كلام أو يليه. ومن هذه المعاني السياقية:

- المدح : يا كثير الجود.
- الذم : يا عديم الرأي.
- الاستحضار: أسكان نعمان الأراك تيقّنوا   من أنّكم في ربع قلبي سكّـان

[1] -يقول السيرافي : "باب النّداء مخالف لغيره من الألفاظ ، و ذلك لأن الألفاظ في الأغلب إنّما هي عبارات عن أشياء غيرها من الأعمال ، أو أشياء غيرها من الألفاظ كقولك أكرمت زيدا ، و قال زيد قولا جميلا. و لفظ النّداء لا يعبر به عن شيء آخر ، و إنّما هو لفظ مجراه مجرى عمل يعمله عامل" هامش كتاب سيبويه ، II ، 182.

- التّعظيم: يا عالم الأسرار علم اليقين.
- الزجر : أفؤادي متـى المتـاب ألمـا تصح والشّيب فوق رأسي ألما
- التعجب: يا لك من ذكي.
- الإستغاثة: يا للّه للمؤمنين
- النّدبة : فوا عجبا كم يدعي الفضل ناقص ووا أسفا كم يظهر النّقص فاضل
- التحسر: أيا قبر معن كيف واريت جوده.

التمنّي

حده: هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى لبعد مناله أو استحالة الحصول عليه.

أمثلة:

- ألا ليت الشّبـاب يعود يومـا فأخبره بما فعـل المشيـب
- ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقود مدح فما أرضي لكم كلمي

فـي هذيـن البيتيـن تبقى الاستحالة مطلقة على أن هذه الاستحالة قد تكون مقيدة بظـروف خاصـة يعيشـها المتكلّم فيتصور الممكن مستحيلا ويعبرعنه بأسلوب التمنّي لشعوره ببعد منال ما يصبو إليه من مثل قول أبي فراس الحمداني وهو في السجن مخاطبا سيف الدولة :

فليتك تحـلو و الحياة مريـرة وليتك ترضى و الأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عـامر وبيني وبين العالميـن خـراب
إذا صح منك الود فالكلّ هيـن وكلّ الذي فوق التّراب تـراب

أدوات التمنّي نوعان:

نوع موضوع لأداء غرض التمنّي.

نوع أفاد التمنّي سياقيا، أي وضع لأداء معاني أخرى ثم خرج لأداء معنى التمنّي.

- ليت : هي أداة وضعت لغرض التمنّي.
- هل : هي بالوضع أداة استفهام وقد تفيد التمنّي.

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلّي إلى من هويت أطير.

- لو : حرف له ثلاثة مواضع:
  - حرف شرط غير جازم : لو خاطبته
  - حرف يفيـد الالتمـاس: لو هتفت إليه.
  - حرف موصول.
  - وقد تفيد التمنّي :

"لو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين"([1]).

- لعلّ : هي أداة ترج وقد تخرج لأداء معنى التمنّي.

[1] الشعراء 102.

الإنشاء غير الطّلبي

القسـم: القسم إنشاء غير طلبي و"هو توكيد لكلامك"([1]) وهو لذلك إنجاز أو عمل لغـوي لا يحصـل إلاّ داخـل المؤسسة اللغوية أي باللغة وحدها. والقسم أنواع:

- قسم بالحروف : باللّه – تاللّه – واللّه: مركب حرفي قسم يفيد التوكيد.
- قسم بالجملة الاسمية: يمين اللّه، أيمن اللّه، لعمري- لعمرك([2]).
- قسم بالجملة الفعلية : أقسم باللّه...

والقسـم مـن مؤكّدات الخبر، لذلك نعتبر أن القسم بالحروف يعتبر محلاّ إنشائيا داخـل الجملـة الخـبرية أما القسم بالجملة الاسمية أو الفعلية فإن الجمل مستقلة إنشائية يصبح المحل الإنشائي متعلّقا بما سماه العرب قديما جملة جواب القسم.

العقـود : هـي أعمـال لغوية ملزمة لصاحبها ومرتبطة بشروط تسمى شروط النّجاح.

والعمـل اللغـوي عمـل لا يوجـد إلا داخل المؤسسة اللغوية أي يحصل باللّغة، والعقـود ملزمة لأصحابها أي أن من تلفّظ بها كمن أمضى عليها بإبهامه. وقديما كانـت جميع العقود شفوية. هذا وتطلب العقود مقامات خاصة بها لتحقيق ظروف نجاحهـا فالمتكلّم بعمل البيع ينبغي أن تتوفر فيه شروط البائع والمتكلم بعمل عقد القران ينبغي أن يكون متأهلا لذلك...

- بعتك هذه الأرض.
- زوجتك هذه الفتاة.

ويلحق بالعقود الأعراف اللغوية كعمل افتتاح الجلسة بالنسبة إلى القاضي حين يقول: فتحت الجلسة.

المدح و الذم:

هي من الأساليب الإنشائية غير الطلبية لأنها إفصاح عن انفعال يحقّق النّطق به عملا لا يحصل إلا باللغة وللمدح والذم طرق معلومة تحقّقهما وهي:

- نِعم : ونعم أجر العاملين([3])

---

[1] سيبويه : الكتاب III -497- "والحلف توكيد".

[2] يمين اللّه : مبتدأ خبره مقدر تقديره قسمي.

[3] آل عمران 136.

- حبذا: حبذا المال والبنون.
- بئس : "ولَبِئْس ما شَروا بِهِ أَنْفُسِهم لَو كانُوا يعلَمون"([1])
- لا حبذا: لا حبذا عذاب الضمير.
- التعجب: وهو إنشاء غير طلبي إذ هو إفصاح عن انفعال أيضا يحصل باللّغة.
و للتعجب صيغتان قياسيتان وصيغ سماعية:
الصيغتان القياسيتان:
- ما أفعله: ما أحلى أيام الربيع.
- أفعل به: أجمل به من رجل.
الصيغ السماعية: من مثل:
للّه دره فارسا-ويحك- ما أنت جارة- يا لها من ليلة- عجبا.

[1] البقرة.

الفصل و الوصل

مبحث الفصل والوصل من أدقّ المباحث البلاغية ناهيك أن منهم من يعرف البلاغة بأنّها معرفة الفصل من الوصل([1]) إذ "لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلاّ كمل لسائر معاني البلاغة"([2]).

ويتّصل مبحث الفصل والوصل بأساليب الربط وطرقه سواء بين المكونات داخل الجملة الواحدة وهو ما يعرف بالعطف، أو بين الجملة والجملة ويسمى استئنافا.

فالعطف متصل بالمفرد والاستئناف متصل بالجملة. وهناك ظاهرة ثالثة تسمى التّعليق وهي انعقاد المعاني بالتركيب تركيب المبتدإ والخبر أو الفعل والفاعل أو الفعل والفاعل ومتعلّقاتهما. والأصل في التّعليق أن يكون بغير أداة كالتّعليق الحاصل بالإسناد مثلا. فأما استخدام الأدوات في العطف أو الاستئناف فيكون لاشتراك المعطوف مع المعطوف عليه في الوظيفة النحوية واشتراكهما أو اختلافهما في سائر المعاني السياقية بحسب ما تفيده أداة العطف المستعملة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الاستئناف فهو نوع من الربط بين الجمل يعتمد فيه على أداة استئناف أو يتم بصفة مباشرة بدون أداة. وتمييز هذه الأنواع بعضها من بعض دقيق المسالك عسير المآخذ لا يحرزه إلاّ من أوتي فنّا من المعرفة في ذوق الكلام ([3]).

[1] - دلائل الإعجاز : باب الفصل و الوصل ص 170 و ما يليها.
[2] - المرجع نفسه ص 171.
[3] - الدلائل 170.

الفصل

حده : هو الربط بدون أداة بين :

1- مفـرد ومفرد أو ما يحلّ محلّ المفرد إذا كانا مشتركين في الحكم الإعرابي، متّصلين إلى الغاية في المعنى من مثل:
كان الوليد بن يزيد فارعا، متين البناء، يكاد يتفجر منه ماء الشّباب.
عطـف "متين البناء" عطفا بدون أداة وذلك لما بين هذه المركّبات من وظيفة نحويـة ومشـتركة مـن ناحية ولما بينها من اتحاد تام واتفاق كلّي من حيث المعنى وهو اتفاق في المعنى يصطلح عليه بتمام الاتصال أو كمال الاتصال.

2- جملـة وجملـة وذلك لما بينهما من علاقة تفسير أو توضيح وبيان أو تفصيل الجملـة الثانـية لما في الأولى من معنى مجمل أو توكيد لها أو تخصيص أو تعلـيل لما ورد في الأولى من حكم. ويصطلح على هذا النّوع من الفصل في التراث بكمال الاتصال أيضا ونصطلح عليه اليوم بالاستئناف البياني:

3- أمثلة:

أ. "يسـومونَكُم سـوء العـذَابِ، يذَبحون أَبنَاءكُم و يستَحيون نِساءكُم" **(البقرة 49)**
استئناف بياني يفيد التفصيل : تفصيل ما جاء مجملا في الجملة الأولى.

ب. "انظـر إلى حذقه بالمسألة و لطفه فيها، ابتدأ بكلاب فسهل القصة..." (استئناف بياني يفيد ....).

ج. "حدثنا عمر بي شبة ، قال ... "استئناف بياني يفيد التّوكيد والتّخصيص.

د. اللّه أكبر، اللّه أكبر : استئناف بياني يفيد التوكيد.

ه. وترمينني بالطـرف أي أنـت مذنب: استئناف بياني، إلاّ أنّه استند إلى أي التفسيرية فمعناه البياني التفسير.

و. ومِـن الناس من يقول آمنّا باللّهِ وباليومِ الآخِرِ وما هم بِمؤْمِنِين، يخَادِعون اللّه والذين آمنُوا" **(البقرة 8-9)**.

اسـتئناف بياني يفيد التّوضيح والتّوكيد، وإنّما استأنف استئنافا بيانيا منقطعا([1]) فـي قولـه تعالى يخادعون اللّه، لأن هذا المعنى لا يختلف في شيء عن المعنى السـابق المتمثّل في قولهم آمنّا وما هم بمؤمنين ، فهو كلام يوضح الكلام السابق ويؤكّـده و"ليس شيئا سواه"([2]).وهكذا قوله عز وجلّ " وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمـنّا، وإذا خلـوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم، إنّما نحن مستهزئون" وذلك لأن

---

[1] -الانقطاع هنا بمعنى الفصل و الربط بدون أداة.
[2] -الدلائل ص 175.

معـنى "إنّما نحن مستهزئون" توكيد للكلام السابق فهو من نوع الاستئناف البياني المـنقطع الذي يفيد توكيد المعنى لسابق وهو من نوع الاستئناف البياني المنقطع الذي يفيد توكيد المعنى السابق وهو من نوع "كمال الاتصال"([1]).

1- جملـة وجملـة لمـا بينهما من اختلاف تام وتباين في المعنى وهو ما سماه البلاغيون كمال الانقطاع ومنه ما يكون ناتجا عن:

- أ- مـا يقـع في أنفس المخلوقين من السؤال([2]) من مثل قصة فرعون وموسـى علـيه السـلام : "قـال فرعون وما رب العالمين. قال: رب السـماوات والأرض ومـا بيـنهما إن كنتم موقنين. قال لمن حوله ألا تستمعون: قال: ربكم ورب آبائكم الأولين" **(الشعراء : 23-24-25-26).**
  والسـؤال الواقـع في أنفس المخلوقين بعد قول فرعون هو : فماذا قال موسـى... فيكون الانتقال من المتكلم إلى المخاطب على سبيل الانقطاع. وهو معنى قريب من السؤال والجواب([3]).
- ب- انـتقال المتكلّم من عمل الإنشاء إلى عمل الإخبار إثباتا أو نفيا وذلك بعد الـنّداء على وجه الخصوص. مثال:" يا قوم إنّكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل..."**(البقرة 54)** " قالوا: لا تخفْ، إنّا أُرسلْنَا إلى قَومِ لُوط" **(هود 70).**
- ج- انتقال عمل القول من الإنشاء إلى الإنشاء. مثال: يا قَوم اعبدوا اللّه ما لكُم مِن إِلَهٍ غَيره"**(الأعراف 75).**

---

[1] الدلائل ص 175-176.

[2] الدلائل ص 175.

[3] الدلائل ص 176.

2- الوصل

حده : هو الربط بالواو بين :

1- مفـرد ومفرد أو ما يحلّ محلّهما إذا كانا مشتركين في الوظيفة الإعرابية أي كانا معطوفا ومعطوفا عليه "مشتركين في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعث فيه الثاني الأول([1]).

مـثال: "قُلْ لِلْمؤْمِنين يغُضوا مِن أبصارِهِم ويحفَظُوا فُروجهْم". فقد عطف بالواو بين معطوف عليه ومعطوف جمع بينهما ما أمر بقوله للمؤمنين.

2- جملـة وجملـة لما بينهما من مشاكلة وتعلّق مضموم في النّفس مثال: "إنّ الأبرار لَفي نَعيمٍ وإن الُفجار لَفي جحِيمٍ"([2]).

مواطن الوصل الواو:

يوصل بالواو على سبيل الضرورة :

1- بين المفرد و المفرد او المركبات التي تحلّ محلّه إذا جمعتها علاقة عطف وقصد اشتراكهما في الحكم الاعرابي مثال : فَإنّما يسرنَاه بِلسانِك لِتُبشّر بِهِ المتّقِين وتُنْذِر بِهِ قَوما لُدا **(مريم 97).**

2- بيـن الجملة والجملة إذا اتفقتا خبرا أو إنشاء وكانت بينهما منسبة معنوية تامة ولم يوجد سبب يقتضى الفصل مثال : "خُذُوا ما آتَينَاكُم بِقُوّةٍ، واذْكُروا ما فِيهِ" **(البقرة 63).**

مـثال ثـان : "وأَقِـيموا وجوهكُـم عِـنْد كُلّ مسجِدٍ وادعوه مخْلِصين له الدِّين"**(الأعراف 29).**

مثال ثالث : "وتِلْك عاد جحدوا بِآياتِ ربّهم وعصوا رسله واتّبعوا أمر كُلّ جبارٍ عنِيدٍ **(هود 59).**

3- بين الجملة والجملة إذا افضى دم الوصل إلى لبس وقلب للمعنى المقصود.

مثال: هل أبلّ فلان؟ - لا، وشفاه اللّه.

فالفصـل بيـن لا وشفاه اللّه يؤدي معنى الدعاء عليه وهو خلاف المعنى المقصود.

---

[1] الدلائل : 172.

[2] الدلائل : 172.

ملاحظـة : قد يلحق بالوصل كل ربط بين المعطوف عليه والمعطوف أو بين جملة وجملة تستخدم فيه سائر حروف العطف أو الاستئناف.

معاني أدوات الاستئناف:

الاستئناف:

الأداة	معانيها	أمثلة
I/الواو	الاشتراك في المعنى السياقي ومطلق الجمع وهي أم الباب.	رقّـت حواشيها ورقّ نسيمها وبدت محاسنها وطاب زمانها.
الفاء	- الترتيب. - النتيجة. - التفصيل والتفسير. - بعد النفي لا تفيد نفي الحدث بل نفي الترتيب	- أقبل متثاقلا فقد أنهكه السير و... - ما شربت فأكلت.
ثم	الاستئناف على سبيل الترتيب مع التراخي	(...) ثـم جاء زيادا رجل نص الأغاني **(أبـو الأسود الدؤلي).**
أو	- الشك - التخيير أو الإباحة	كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية ...
أم	تكون مسبوقة بالهمزة فتدلّ معها على طلب التعيين وتفيد كذلك معنى الإضراب	"هـل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظّلمات والنور" **(قرآن).** "ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها **(قرآن).**
بل	- الإضراب (النفي) عندما يسبقها الإيجاب تنفيه ان سبقها نفي أو نهي تركته على حاله	قال يفتح الباب أو يكسر؟ قال بل يكسر. لم يقم زيد بل قام عمرو.
حتى	- انتهاء الغاية المطلقة - التعبير عما يستبعد بالاسمية	- فمازالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل. - حتى فساتيني التي أهملتها فرحت به.
أي	- التفسير	- خلـق الإنسـان طلعـة أي ركّب فيه حب الاستطلاع.
II/ لكن **لكن**	- الاستدراك و تخـتص الأولـى بالفعلـية و تخص الثانية بالاسمية	قالت المطوقة : لا تتخاذلن في المعالجة ولكن نتعاون جميعا **(ابن المقفع)**
إما	تسـتعمل مكـررة [ج1 و ج2] الأولى ابتدائية أو استئنافية. الجملتان اسميتان خبرهما محذوف تقديره حاصل أو موجـود. قـد تعـوض في الجم 2 بأو وتفيد التخيير.	إما أن تقيم في ملكك و إما أن تضع تاجك.
أما فـ...	التفصيل	"فأمـا اليتـيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر" **(الضحى 9-10)**

أمثلة	معانيها	الأداة
أنا أفكر إذن أنا موجود **(ديكارت)** "لـو كان معه آلهة كما يقول إذن لا تبغوا إلى ذي العرش سبيلا" **(الإسراء 42)**	الاستنتاج	**إذن**
في كتب المسعودي من الطعن ما هو معروف إلاّ أن الكافـة اختصـت بقـبول أخباره **(ابن خلدون)**	الإستدراك على ما سبق من كلام	**إلا أن** **غير أن** **بيد أن**
فأقبلت نحو الصوت فإذا شيخ كأنّه من رجال الحي **(الأغاني، موت جميل)**	الفجائيات	**إذا** **إذ**
هذه المجموعة II متى وردت وحدها اعتبرت أدوات استئناف ومتى أتت مقترنة أي مصدرة بالأدوات السابقة اعتبرت قرائن استئناف واعتبرت الأدوات المصدرة لها أدوات استئناف.		

الاستئناف البياني (كمال الاتصال)

هو أن تستأنف جملة أخرى لتفسرها و توضحها أو تفصل ما جاء فيها مجملا أو مـبهما أو تعلّل ما جاء فيها من حكم أو لتؤكّدها لفظا أو معنى أو تبينها على جهة البدلية.

أمثلة :

*حدثني عمي [قال : "..."]

- جملة مستأنفة استئنافا بيانيا يفيد التأكيد والتخصيص.

* اللّه أكبر [اللّه أكبر]

- جملة إسمية مستأنفة استئنافا بيانيا يفيد التأكيد

* "يسومونكم سوء العذاب [يذبحون أبناءكم و يستَحيون نساءكم]" (قرآن).

- استئناف بياني يفيد التّفصيل.

ملاحظة : تستخدم أي و يعني و ما يفيد معناها روابط بيانية فيعتبر مما تتصدره استئنافا بيانيا يفيد التفسير.

القصر

حـده : هـو تخصـيص شـيء بتراكيـب مخصوصـة وتكـون من مقصور ومقصور عليه وأدوات تحكّم القصر.

مثال :

إنّما الدنيا غرور.

أداة القصر : إنّما.

المقصور : الدنيا.

المقصور عليه: غرور.

فالقصر تخصيص يكون المخصص مقصورا و المخصص به مقصورا عليه.

مثال ثان :

ما الدنيا إلاّ غرور.

أدوات القصر : ما النافية و إلا المستثنية.

المقصور : الدنيا.

المقصور عليه : غرور.

طرق القصر :

يكون القصر بطرق كثيرة أبرزها:

1) إنّما من مثل: "إِنّما نُطْعِمكُم لِوجهِ ا ِ لاَ نُريد مِنْكُم جزاء ولاَ شَكُورا" **(الإنسان 9)**

فالمقصور هو الإطعام والمقصور عليه هو : لوجه اللّه.

2) النّفي والاستثناء : نحو : ما محمد إلا رسول.

المقصور هو محمد و المقصور عليه رسول.

3) العطف بلا و بل و لكن : من مثل :

عمر الفتى ذكره لا طول مدته ومونه خزيه لا يومه الداني

ويشترط في "لا" إفراد معطوفها وأن تسبق بإثبات، وإلاّ يكون ما بعدها داخلا في عموم ما قبلها.

– ليست الأرض منبسطة لكن كروية.

– ليت الأرض منبسطة بل كروية.

ويشترط مع بل ولكن أن تسبقا بنفي أو نهي وأن يكون العطوف بهما مفردا وأن لا تصدر لكن بالواو. أما المقصور عليه فهو ما يكون :

– قبل لا.

– بعد لكن و بل.

4) تقديم ما حقّه التّأخير : من مثل :
"إِيّاك نَعبد و إِيّاك نَستَعِين" (الفاتحة)
أي نخصك بالعبادة و الاستعانة (طلب العون).
فالمقصور عليه هو ضمير النّصب المنفصل المخاطب : إياك.
ملاحظة : للقصر طرق أخرى كثيرة منها :
- استعمال ألفاظ مخصصة من مثل: وحده-فقط-لا غير-ليس غير- أو أَخُص أو استخدام ضمير الفصل.
-استعمال (إن) مكان (ما) في النّفي المتبوع باستثناء من مثل " إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت و ما توفيقي إلاّ باللّه"(هود 88)
"إِن هذَا إِلاّ ملَك كَرِيم" (يوسف 31).

أنواع القصر: يقسم القصر باعتبار الحقيقة و الواقع إلى قسمين :

1- قصـر حقيقي : وهو أن يختص المقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألاّ يتعداه إلى غيره أصلا.
مثال: لا إلاه إلا اللّه.

2- قصـر إضافي : وهو تخصيص نسبي يمكن أن يتعدى في الحكم المقصور عليه بغير المقصور في الواقع.
مـثلا : إنّما أنت صديقي. فقصر الصداقة على المخاطب أمر نسبي يتعدى الواقع الذي نجد فيه غيرك من الأصدقاء.

و يقسـم القصـر باعتبار طرفيه (المقصور والمقصور عليه) سواء أكان القصر حقيقيا أم إضافيا إلى نوعين:

1- قصـر صـفة علـى موصـوف: وهو أن تحبس الصفة على الموصوف وتختص به، فلا يتصف بها غيره، وقد يتّصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات :
مثلا :
- لا رازق إلا اللّه.
- ما فاز إلا المجتهد.
- العصمة لا تكون إلا لنبي".

2- قصـر موصـوف علـى صـفة: وهو أن يحبس الموصوف على الصفة و يختص بها دون غيرها و قد يشاركه فيها غيره. مثلا :
- ما اللّه إلا خالق كلّ شيء.
- "ما محمّد إِلاّ رسولٌ قَد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرسلُ" (آل عمران 144).
- ما أنا إلا بشر.

علم البيان

لغة : البيان هو الظّهور والوضوح.

وقـد بدأ ظهور البيان مصطلحا بمعنى إظهار المقصود بأبلغ لفظ مع ما يقتضيه ذلـك مـن سـهولة اللّفظ وجزالته وقدرته على الإقناع والتّأثير. وقد اعتبر الكفّار إعجـاز القـرآن وبلاغـته سحرا مبينا "فَقَالَ الذّين كَفَروا مِنْهم إن هذَا إلاّ سِحر مبِين([1]) " وأثر عن النبي قوله "إن من البيان لسحرا".

وقد أطلق لفظ البيان في بادئ الأمر على البلاغة عامة، ثم ترسخ المصطلح مع الجاحظ في " البيان و التبيين" واختص بعض الاختصاص بقسم من فنون البلاغة. فقـد أورد أمـثلة للتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية وعرف البيان تعريفا يبرز طـرقه يقـول : " والبـيان اسـم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجـاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا مـا كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع([2])

وقـد أضاف الرماني (296 هـ) عنصر الحسن وأكّد عنصر التأثير في النّفس فعرف البيان بأنّه "كلام يجمع أسباب الحسن في العبارة وله تأثير في النّفس"([3]).

أما ابن رشيق فقد أكّد معنى التأثير الذي عبروا عنه بلفظ السحر، يقول : "البيان تصوير الحقّ في صورة الباطل والباطل في صورة الحقّ"([4]).

لـم يترسـخ البـيان مصطلحا واضح الحد إلى القرن الخامس مع عبد القاهر الجرجانـي، فقـد جعلـه علما راسخا يتفرع إلى فروعه المعروفة اليوم. وقد أخذ السكاكي والقزويني عنه حد البيان مما أورده في دلائل الإعجاز.

---

[1] المائدة : 110.

[2] البيان و التبيين ج 1 ص76.

[3] ويعرف البلاغة في النّكت بقوله " و إنّما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللّفظ" النكت في إعجاز القرآن ص 75-76. ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – سلسلة ذخائر العرب – دار المعارف- القاهرة-د.ت.

[4] هذا المعنى ينسب في الحقيقة إلى العتّابي انظر البيان و التبيين I ص 80 دار الفكر للجميع 1968.

و تعـريف السـكاكي للبـيان : "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنّقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطإ في مطابقة الكلام لتمام المراد"([1]) وهو التّعريف الذي بقي إلى اليوم صالحا.

فالبيان جملة من الأساليب الخاصة التي تزيد الكلام وضوحا وحسنا وسحرا أي تأثيرا وهذه الأساليب هي فروع علم البيان وهي:

- التشبيه.
- المجاز.
- الاستعارة.
- الكناية.

[1] السكاكي : مفتاح العلوم ص 77.

التّشبيه

لغة:

الشبه والشبه والشبيه : المِثْلُ([1])

فالتّشبيه لغة هو التّمثيل إلى حد قد يبلغ الاختلاط والمماثلة بين أمرين أو أكثر.

اصطلاحا:

هـو الدلالـة علـى مشاركة أمر لأمر آخر في وجه أو أكثر مشاركة ينبغي أن تتوفّر للإفصاح عنها جملة من العناصر تسمى أركان التّشبيه.

وهي:

طرفا التّشبيه :

- المشبه وهو أساس التشبيه.
- المشبه به.

وهما عنصران ضروريان لقيام التشبيه.

أداة التشبيه:

وتكون ظاهرة أو مقدرة فالظاهرة الملفوظة تكون :

- حرفا: كالكاف و كأن.
- اسما: كمثل ونحو وشبه ومضاه ومحاك ومماثل ومشابه.
- فعلا: يشابه أو يماثل أو يحاكي أو يضاهي أو يضارع.

وجه الشّبه:

قـد يكون أيضا ملفوظا أو مقدرا كالأداة. ووجه الشبه هو الصفة التي يشترك فيها المشبه به على سبيل الحقيقة أو التّخييل بطرق القصد أو التّلميح.

هـذه الأركان الأربعة تختلف أهمية، ذلك أنّ طرفي التّشبيه لا يغيبان البتّة بل يقوم بهمـا التّشبيه فتصنّف لذلك أنواع التّشبيه بحسب غياب الأداة أو غياب وجه الشّبه أو غيابهما معا([2])

أنواع التشبيه:

المشبه	المشبه به	أداة التّشبيه	وجه الشّبه	نوع الّشبيه
+ أو ∍	+	+ مرسـل	+ مفصل	تام
+	+	- مؤكّد	+ مفصل	مؤكّد
+	+	+ مرسل	- مجمل	مجمل
+	+	- مؤكّد	- أو ∅ مجمل	بليغ

---

[1] لسان العرب مادة س ب ه.

[2] يصنّف البلاغيون التّشبيه استنادا إلى مقياسي الحضور و الغياب معا.

استنادا إلى مقياس الغياب وحده نحصل على أنواع التشبيه التالية :
تـام-مؤكّد –مجمل-بليغ. وهو تقسيم نتجاوز به ما عمد إليه القدامى من المرجعية الثنائـية : الوجـود والغـياب ، ممـا ينـتج عنه الأنواع الأربعة ولكن باستخدام مصطلحين اثنين :

التّام ⟵ مرسل لحضور الأداة مفصل لحضور وجه الشّبه.
المؤكّد ⟵ مؤكّد مفصل لغياب الأداة و حضور وجه الشّبه.
المجمل ⟵ مرسل مجمل، مرسل لوجود الأداة ومجمل لغياب وجه الشّبه.
البليغ ⟵ مؤكّد مجمل لغياب الأداة ووجه الشّبه.

***أمثلة*:**

- مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنْجل
⟵ تشبيه .... لـ ....

- كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ
⟵ تشبيه .... لـ ....

- العالم سراج أمته.
⟵ تشبيه .... لـ ....

- العالم سراج أمته في الهداية.
⟵ تشبيه .... لـ ....

- هم البحور عطاء حين تسألهم وفي اللّقاء إذا تلقاهم بهم
⟵ تشبيه .... لـ ....

- يدعون عنتر و الرماح كأنّها أشطان بئر في لبان الأدهم **(عنترة بن شداد)**
⟵ تشبيه .... لـ ....

- أنت نعمى و روضة و شباب وربيع مفتّح بالحيـاة
⟵ تشبيه .... لـ ....

-إذا صح منك الود فالكلّ هين وكلّ الذي فوق التّراب تراب **(أبو فراس)**
⟵ ....

- فتمشّت في مفاصلهم كتمشّي البرء في السقم **(أبو فراس)**
⟵ ....

- المرء في تأخير مدته كالثّوب يبلى بعد جدته. **(أبو العتاهية)**
⟵ ....

وكأن رجع حديثهـ ـ ـا قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانهـ ـ ـا هاروت ينفث فيه سحـ ـرا
وتخال ما جمعت عليـ ـه ثيابها ذهبا و عطـ ـرا **(بشّار)**

⟵ ....

⟵ ....

و قد يأتي التّشبيه في صور أخرى من مثل:

- عيون من نرجس

يعتبر تشبيها بليغا لأن حرف الجر لا يعوض أداة التشبيه.

- اندفع الرجل ليثا.

تشبيه بليغ : المشبه : الرجل والمشبه به: اللّيث.

- مشى مشية الديك.

المصـدر أيضـا لا يعوض الأداة فهذا النوع يصنف ضمن التشابيه البليغة، يقول طرفة :

إلى أن تحامتني العشيرة كلها * * وأفردت إفراد البعير المعبد.

ملاحظة :
أفعال الظن لا تعتبر أدوات تشبيه أيضا : خلته أسدا – ظننته واقفا ويعتبر التشبيه فـي هذه الحالات بليغا وربما ذهب البعض إلى اعتبار هذه الحالات خارجة عن التشبيه.
إضـافة إلـى هذا التصنيف يصنّف التشبيه أصنافا أخرى استنادا على اعتبارات مختلفة منها :

التشبيه التمثيلي أو تشبيه التمثيل:
وهو تشبيه صورة بصورة. ويعرفه البلاغيون بكونه تشبيها وجه الشبه فيه صورة أو وصف منتزع من متعدد :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى * * لكالطول المرخَى وثِنْياه في اليد

الصـورة الثانـية (المشبه به) : الطولُ الذي تقيد به البهائم لترعى البرسيم بمقدار و تكون ثنياه بيد صاحب تلك البهائم أو راعيها يجذبها متى شاء...
فوجه الشبه منتزع من متعدد وتشبيه الشّاعر للصورة الأولى بالصورة الثانية كان بجامع الحتمية والقدرة والقوة إلى جانب الضعف وانعدام الحول والقوة ...
ملاحظة:
لا يعتبر تشبيه شيئين أو أكثر بآخرين تشبيه تمثيل وإنّما هو مركب. من مثل:

صدغ الحبيب وحالي * * كلاهما كاللّيالـي.

التّشبيه الضمني :
وهـو نـوع يصنّف على أساس خروجه عن الطرق المعهودة في التّشبيه، وذلك لاعـتماده مـنهج التّلمـيح لا التّصريح بعملية التشبيه، وهو يتخلّى أصلا عن أداة التشبيه التي تربط بين المشبه والمشبه به. فالتّشبيه الضمني هو:
- تشبيه مؤكّد أي خال من أداة التشبيه.
- تشبيه متعدد بمتعدد.
- تشـبيه تستقلّ فيه الجملة المتضمنة للمشبه عن الجملة المشتملة على المشبه به، فكـأن الجملة الثانية استئناف فيه نوع من الالتفات الذي يتغير فيه السجلّ اللغوي عن السجلّ الوارد في الجملة الأولى الحاملة للمشبه.
- عـند تحليل التشبيه الضمني لا بد من تعيين المشابهة بين ركني الشبيه عنصرا عنصرا
أمثلة:
سيذكرني قومي إذا جد جدهم * * وفي الليلة الظّلماء يفتقد البدر.
المشابهة:
الاعـتراف بقـيمة الشـيء عند فقدانه – فتذكّر القوم للشّاعر سيحدث عندما يجـدون أنفسـهم بحاجة إلى بطولته و قوته وشجاعته وقت الشدة والحرب، فيفتقد عـندئذ، تمامـا كمـا يفتقد البدر في الليلة الظلماء بالنسبة إلى المسافر الذي يكون بحاجة إلى نور القمر حتى يهدى السبيل ويتجنّب الغوائل.

حلّل التشبيه التّالي:
ويلاه إن نظرت و إن هي أعرضت * * وقع السهام ونزعهن أليم

التّشبيه المقلوب:
وهو إحلال المشبه به محلّ المشبه و المشبه محل المشبه به، فالتشبيه المقلوب هـو قلـب للأعراف الشعرية والثقافية قصد المبالغة والمباغتة وإحداث الانزياح المعنوي.
فالأعراف الشعرية جرت بتشبيه وجه الحبيبة مثلا بالقمر أو بطلعة الصباح، فيقلب هـذا العـرف بأن يشبه الشاعر القمر أو طلعة الصباح بوجه الحبيبة، وكأن جمال الحبيبة وضياء وجهها أوضح وأسطع من ضياء القمر وطلعة الصباح...
مثال:
يا من ألوذ به في ما أؤملـه ومن أعوذ به مما أحـاذره
ومن توهمت أن البحر راحته جودا وأن عطاياه جواهـره **(المتنبي)**
في البيت الثاني نجد تشبيهين اثنين:
- تشبيها مؤكّدا مقلوبا شبه في المتنبي البحر في عطائه وجوده براحة الأمير سيف الدولة.
- تشبيها بليغا (عاديا) شبه فيه المتنبي عطايا سيف الدولة بجواهر البحر.
ومثل هذا يقول الشاعر واصفا تدفق الماء من عين جارية :
كأنّها حين لجت في تدفّقها * * يد الخليفة لما سال واديها.

المجاز

الحقيقة و المجاز:

يكون الكلام على سبيل الحقيقة كما يكون أيضا على سبيل المجاز.

أمـا الكلام على سبيل الحقيقة فهو استعمال الألفاظ لأداء المعاني التي وضعت لها في أصل الوضع اللغوي. من مثل:

- زأر الأسد : فالزئير موضوع في اللغة لتصويت الأسود.
- نهق الحمار: والنّهيق موضوع في اللغة لأصوات الحمير.

وأمـا الكلام على سبيل المجاز فهو استعمال الألفاظ لغير ما وضعت له في أصل الوضع اللغوي أو هو استعمال الألفاظ في مقال لا يوافق المقام الواقع أو الممكن. ويكون إدراكه بإحدى القرائن المقامية أو المقالية اللفظية أو المنطقية. من مثل :

- زأر الـرجل ← مجـاز لآن الزئير ليس موضوعا في اللغة للتعبير عن صوت الإنسان. و القرينة المانعة من إرادة الحقيقة هي الرجل وهي قرينة لفظية.
- زأر الأسـد ← فـي مقـام نصف فيه رجلا يصيح : يصبح الكلام مجازا لأننا استعملنا هذه الألفاظ في مقال لا يوافق المقام الواقع. فالكلام مجاز قرينته مقامية.

ملاحظات:

1- عادة ما يكون للمقام دور أساسي في تمييز الحقيقة من المجاز.
2- الاشـتراك اللغوي والتوسع الاصطلاحي اللغوي يعدان عند استخدامهما من بـاب الحقـيقة كـأن يستعمل مثلا مصطلح الحرف للكلمات التي يزيد عدد حـروفها عـن الحـرف : لكن – من – على –إلى- أو استعمال كلمة عين للجارحة والماء الجاري من الأرض أو للجاسوس.
3- كـثرة الاسـتعمال قد يلحق بالحقيقة ما كان في بداية استعماله على سبيل المجاز كاستخدام اللسان للتعبير عن اللغة: لسان قوم لغتهم (لسان العرب).

قرائن الجاز:

1- نعتـبر القرائـن شروطا لحصول المجاز، و تفرع إلى قرائن لفظية ومنطقية ومقامية وهي قرائن مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

قامت تظلّلني ومن عجب * * شمس تظللني من الشمس (ابن العميد)

فالكلام جاء على سبيل المجاز في مستوى العجز لاستخدام الشاعر الكلام بما يفيد تعـدد الشـموس. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي منطقية قبل كل شيء لانعدام وجود شمسين في الكون.

تقوم العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي على:

- المشابهة ← فيسمى المجاز استعارة.
- غير المشابهة ← فيسمى المجاز عقليا أو مرسلا. ويمكن التمثيل لهذا بالشكل التّالي :

المجاز
- **عقلي**: علاقته غير المشابهة
- **لفظي**:
  - مجاز مرسل (علاقة غير المشابهة)
  - استعارة (علاقة مشابهة)

المجاز العقلي

وهو مجاز حاصل في الإسناد، أي في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما يسند إليه أي إلى غير فاعله الحقيقي الوضعي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. وتقوم العلاقة ما بين الحقيقة والمجاز على غير المشابهة.

مثال: بني حسان بن النّعمان جامع الزيتونة.

فحسان بن النعمان لم يبن جامع الزيتونة بنفسه إنّما كان سببا في بنائه. والإسناد هو الذي حصل فيه مجاز لأننا أسندنا فعل بنى إلى غير فاعله الحقيقي، وإنّما العلاقة بين فعل البناء وحسان هي السببية. فالمجاز عقلي علاقته السببية.

ملاحظات:

المجاز العقلي:

1- مداره الإسناد.
2- قرينته لفظية.
3- العلاقة بين المجاز الحاصل والحقيقة علاقة غير مشابهة
4- سمي هذا النوع من المجاز عقليا لأن المجاز فيه ليس في لفظ الفعل المسند أو المسند إليه الفاعل وإنّما هو في عملية الإسناد ذاتها وهي عقلية لذلك يطلق عليه أيضا المجاز الحكمي أو الإسنادي.

العلاقات في المجاز العقلي: أي علاقة الفعل أو ما شابهه بالفاعل المسند إليه :

1- **علاقة سببية**: مثال : أفسد البترول المواثيق الدولية.

فالبترول المسند إليه الفعل لم يفسد شيئا في الحقيقة و إنّما هو سبب في الحدث المسند. و العلاقة بين المعنى المجازي و المعنى الحقيقي هي علاقة سببية. ويمكن أن نعبر عن هذه العلاقة بإسناد الفعل إلى ما هو سبب فيه.

2- **علاقة زمانية**: أو إسناد الفعل إلى زمان حدوثه.

مثال 1 : زهت أيامه.

مثال 2 : نهار الزاهد صائم و ليله قائم.

مثال 3 : سرهم زمان الوصال.

فالأيـام في المثال الأول لم تزه وإنّما الزهو حدث فيها. والنهار لم يصم وإنّما هو مفعول فيه الصوم. وكذلك الليل لم يقم وإنّما كان القيام فيه من قبل الزاهد. وزمان الوصال في المثال الثالث إنّما حدث السرور فيه وليس فاعلا للسرور.
والمجـاز فـي هـذه الأمـثلة مجاز عقلي قرينته لفظية والعلاقة فيه بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي علاقة زمانية (غير مشابهة).

3- **علاقة مكانية**: أو إسناد الفعل إلى مكان وقوعه.
مـثال: ذهبـنا إلى حديقة غنّاء (غنّاء: صيغة مبالغة من غني) في هذا المثال نجد إسـناد فعل الغناء إلى غير فاعله: الحديقة. فهو مجاز عقلي علاقته المكانية، وهي علاقة غير مشابهة، فالفعل أسند إلى مكان وقوعه.

4- **علاقة مصدرية:** أو إسناد الفعل إلى مصدره (اسم الحدث) مثال :
سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
أسـند الشـاعر فعـل الجـد إلى مصدره أي إلى غير ما وضع له، لعلاقة غير المشابهة. والقرينة لفظية. فهو مجاز عقلي. والعلاقة بين الفعل والمسند إليه الفاعل علاقة مصدرية.

5- **علاقـة فاعلية**: أو إسناد الفعل إلى اسم الفاعل عوضا عن اسم المفعول. مثال: كـان المنزل عامرا وكانت حجره مضيئة. والحقيقة أن المنزل معمور وأن الحجر مضاءة. فهو مجاز عقلي علاقته الفاعلية.

6- **علاقة مفعولية**: أو إسناد الفعل إلى اسم المفعول عوضا عن اسم الفاعل.مثال :
"وإِذَا قَـرأْتَ القُـرآن جعلْـنَا بيـنَكَ وبيـن الَّذِيـن لاَ يؤْمِـنُون بالآخِرةِ حِجابا مستُورا"**(الإسراء، 17).**

ملاحظـة: المجـاز العقلي الحكمي الإسنادي يقوم على إبراز علاقة منطقية عقلية إسـنادية حكمية لا تقوم على المشابهة، مع وجود قرينة مانعة من إرادة الدلالـة علـى المعـنى الحقيقـي، ووجود علاقة ما تربط بين الحقيقة والمجاز على أساس عقلي منطقي.

والمراحل المتبعة في تحليل المجاز العقلي هي:
أ- بـيان اسـناد الفعل إلى غير ما وضع له في الحقيقة (أسند الفعل كذا إلى غير ما وضع له) ←── مجاز إسنادي.
ب- القرينة المانعة من الدلالة على الحقيقة...
ج- العلاقة بين الفعل المسند و الفاعل المسند إليه هي كذا لأن...
د- فهو مجاز عقلي علاقته كذا.

وقرائن المجاز العقلي هي :
- حصول المجاز في الحكم الإسنادي.
- قيام العلاقة بين الحقيقة والمجاز على غير المشابهة.

المجاز المرسل

حده :
هـو استعمال كلمة في غير معناها الذي وضعت له لعلاقة بين ما استعمل فيه وما وضـع له في الحقيقة، علاقة قائمة على غير المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.
وقـد سمي مرسلا لتوسعه وبعده في القيام على علاقات مختلفة مرسلة بعيدة عن المعنى الحقيقي.
مثال: "وينْزِلُ لَكُم مِن السماءِ رِزقًا" **(غافر 13)**.
الرزق لا ينزل من السماء وإنّما ينزل أسبابه أعني الغيث.
والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية: ينزل من السماء.
والعلاقـة بيـن المعـنى المجازي (الرزق) والمعنى الحقيقي (الغيث) علاقةغير مشابهة قائمة على المسببية أي أن الرزق مسبب للغيث السبب.
إن أنـواع العلاقـات فـي المجـاز المرسل أوسع منها في المجاز العقلي وقدعد البلاغيون هذا النوع منتهى الإبداع لعدم تقيده بالصور القريبة من الحقيقة.

العلاقات التي يبنى عليها المجاز المرسل: هي:
1- **علاقة المسببية أو علاقة النتيجة بسببها:**
مثال: يروج تجار المخدرات المصائب.
أ. اللفظ الذي وقع فيه مجاز هو المصائب.
ب. الكلمة التي تطابق المعنى الحقيقي هي البضائع المخدرة.
ج. القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي يروج (لفظية).
د. العلاقة بين المصائب المستعملة مجازا والبضائع المخدرة علاقة غير مشابهة قائمة على المسببية باعتبار المصائب مسببة.
ه. فالمجاز لفظي مرسل علاقته المسببية.

2- **علاقة السببية**
مثال: رعت الإبل الغيث.
أ- اللفظ الذي استعمل مجازا هو الغيث.
ب- الكلمة التي تطابق المعنى الحقيقي هي العشب
ج- القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي قرينة لفظية "رعت"
د- العلاقة بين الغيث المذكورة مجازا والعشب المعنى الحقيقي علاقة غير مشابهة تقوم على السببية باعتبار أن الغيث سبب للعشب.
ه- فالمجاز لفظي مرسل علاقته السببية.

3- **علاقة الآلية**:
مثال: " واجعل لي لسان صدق في الآخرين" **(الشّعراء 26)**
أي كلام صدق كناية عن الذّكر الحسن.
أ. اللفظ الذي استعمل مجازا هو لسان
ب. الكلمة التي تطابق المعنى الحقيقي هي كلام.
ج. القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي قرينة لفظية: صدق
د. العلاقة بين اللسان المذكور مجازا والكلام المعنى الحقيقي علاقة غير مشابهة قائمة على تسمية الشيء بآلته وما يتحقق به.
ه. فالمجاز لفظي مرسل علاقته الآلية.

4- **علاقة الجزئية:** وتكون بإطلاق الجزء الذي يراد به الكلّ.
مثال: الإسلام يحثّ على تحرير الرقاب
أ- الرقاب لفظ استعملت مجازا
ب- الكلمة التي تطابق المعنى الحقيقي هي العبيد
ج- القرينة المانعة من ....
د- العلاقة بين ....
....
هـ- فالمجاز لفظي مرسل علاقته ....

5- **علاقة الكلية**: وتكون بإطلاق الكلّ الذي يراد به الجزء
مثال: شربت ماء زمزم.
أ- ماء زمزم عبارة استعملت مجازا.
ب- العبارة التي تطابق المعنى الحقيقي هي ....
ج- القرينة المانعة ....
د- العلاقة بين المعنى ....
....
هـ- فالمجاز لفظي مرسل علاقته الكلية.

6- **علاقة اعتبار ما كان**: وتكون بإطلاق الشيء على ما كان عليه وإرادة ما أصبح.
مثال: لبست الصوف.
أ- الصوف لفظة استعملت على سبيل المجاز.
ب- الكلمة التي تطابق المعنى الحقيقي هي بدلة.
ج- القرينة ....
د- العلاقة بين المعنى المجازي الكامن في الصوف و المعنى الحقيقي (البدلة) علاقة غير مشابهة قائمة على اعتبار ما كان.

7- **علاقة اعتبار ما سيكون**:
مثال : يعصرون الخمر.
أ- الخمر لفظة استعملت على سبيل المجاز.
ب- الكلمة التي تطابق المعنى الحقيقي هي العنب.
ج- القرينة ....
د- العلاقة ....
....
هـ- فالمجاز لفظي مرسل علاقته اعتبار ما سيكون.

8- **علاقة المحلية**: وتكون بذكر المحلّ وإرادة الذي يحلّ فيه.
مثال : واسأل القرية.
حلّل المجاز اللفظي المرسل متّبعا المراحل المذكورة في الأمثلة السابقة:
أ- القرية ....
ب- الكلمة ....
ج- القرينة ....
د- العلاقة ....
هـ- المجاز لفظي مرسل علاقته ....
....

9- **علاقة الحالية**: وتكون بذكر لفظ الحال و إرادة المحلّ لما بينهما من ملازمة.
مثال: إن الأبرار لفي نعيم **(الانفطار : 82 والمطففين : 83)**
أ- نعيم لفظة استعملت على سبيل المجاز
ب- أريد بها في الحقيقة المحلّ الذي يكون فيه النعيم.
ج- القرينة ....
د- العلاقة بين المعنى المجازي نعيم و المعنى ....
هـ- فالمجاز الفظي مرسل علاقته الحالية.

10- **علاقة الدالية**: وتكون بذكر اسم الدّال وأنت تعني المدلول.
مثال : نقدت الكتاب.
أ- الكتاب لفظة استعملت على سبيل المجاز.
ب- أريد بها الأفكار التي يحتويها الكتاب.
ج- القرينة ....
د- العلاقة ....
هـ- فالمجاز لفظي مرسل علاقته الدالية.

11- **علاقة المدلولية**: وهي أن تذكر لفظ المدلول وأنت تعني الدال.

مثال : قرأت معاني الرسالة (وأنت تعني ألفاظها)

أ- ....

ب- ....

ج- ....

د- ....

هـ - فالمجاز لفظي مرسل علاقته المدلولية.

الإستعارة

حدها:

هـي اسـتعمال اللّفظ لغير ما وضع له في الحقيقة لضرب من المشابهة بين المعنى المجازي المصرح به والمعنى الحقيقي (غير المذكور) مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

ويعرف الاستعارة بعض البلاغيين بأنها تشبيه حذف أحد طرفيه يقول السكاكي صـاحب مفـتاح العلوم: "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الآخر مدعيا دخـول الشبه في جنس المشبه به دالاّ على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به".

مثال 1 :

1- قفز البطل كالليث : تشبيه (حقيقة).
2- قفز الليث (في مقام يكون فيه اللّيث ليثا حقيقيا (حقيقة).
3- قفز الليث (و أنت تعني البطل) ⟵ استعارة.

فقد استعملنا في 3 الليث لغير ما وضع له في الأصل لضرب من المشابهة بين الليـث الحقيقي والبطل وهي القوة والشّجاعة والبطش. مع قرينة مقامية مانعة من إرادة المعـنى الحقيقي. وقد ذكر المشبه به الليث وأريد به البطل مع ادعاء دخول البطل في جنس الأسود والدلالة على ذلك بإثبات للبطل ما يخص الليث.

مثال 2:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * * وردا وعضت على العنّاب بالبرد

الحقيقة:

فذرفت دموعا من عينين وبلّت خدين وعضت على الشّفة بالأسنان.

نلاحظ في البيت سبع استعارات:

- استعار الشاعر للدموع لفظ اللؤلؤ،
- ولانحدار الدمع لفظ أمطرت،
- وللعينين الجميلتين لفظ النّرجس،
- وللخدين لفظ الورد،
- ولابتلالهما لفظ السقيا،
- وللشّفة الحمراء لفظ العنّاب ،
- وللأسنان البيضاء لفظ البرد.

فالشّـاعر اسـتعمل سـبعة ألفاظ لغير ما وضع لها في أصل الوضع اللغوي، وذلـك لضرب من المشابهة بين المعنى المجازي (مثلا: الورد) والمعنى الحقيقي (الخـدان) وهمـا في حقيقة الأمر المشبه في عملية التشبيه التي لم تتم. وقد ذكر

الشاعر المشبه به أي الورد وأراد به الخدين مدعيا دخول الخدين في جنس الورود بجامع الحمرة والجمال واللّطف.

ملاحظة :

1- القريـنة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي في هذا البيت مقامية، فالمقام غزلي.

2- والمجـاز اسـتعارة لقيام العلاقة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي على المشابهة (تشبيه الدمع باللّؤلؤ والخد بالورد والأسنان بالبرد...).

يحسـن دائما فهم البيت أو الكلام ومعرفة المقام الذي بدونه لا يمكننا تمييز الحقيقة من المجاز، ثم تعيين اللفظ المستعار أو الذي وقع فيه المجاز.

وتقسم الاستعارة باعتبار نوع اللفظ المستعار إلى:

1- **استعارة أصلية**:

وهـي ما كان اللفظ المستعار فيها اسما جامدا، من مثل استعارة اللّيث للأمير أو القائد واستعارة اللؤلؤ للدمع والبرد للأسنان ...

2- استعارة تبعية: وهي ما كان اللفظ المستعار فيها فعلا أو مشتقا يجري مجرى الفعل، من مثل استعارة زأر للإنسان الذي يصيح أو استعارة أمطرت لذرفت وسـقت لبلّـت فـي البيت المذكور آنفا واستعارة لفظ مزهر في مثال شباب مزهر...

تمرين 1 :

عين فيما يلي موطن الاستعارة، و بين نوعها باعتبار نوع اللّفظ المستعار:

أ- فأقبل يمشي في البساط ومادرى * * إلى البحر يمشي أم إلى البدر يرتقي **(في مقام مدح)**

ب- إنّي أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها. **(خطبة الحجاج)**

ج- تراقصت الأشجار عندما هبت الريح.

د- كم من دم رويت منه أسنّته * * ومهجة ولغت فيها بواتره **(المتنبي – مدح)**

هـ- قامت تظلّلني ومن عجب * * شمس تظلّلني من الشمس **(ابن العميد – غزل)**

ه- وعشي أنس أضجعتني نشوة * * فيه تمهـد مضجعـي و تدمـث
خلعت علي به الأراكـة ظلّـها * * والغصن يصغي والحمـام يحـدث
(ابن خفاجة - وصف الطّبيعة)

و تصنّف الاستعارة باعتبار ذكر المشبه به وحلوله محلّ المشبه أو عدم ذكره إلى:

1- **الاستعارة التصريحية**:

وهـي مـا كان اللفظ المستعار المصرح به بمثابة المشبه به في عملية التشبيه المفترضة. فالتصريحية هي ما صرح فيها بالمشبه به وأريد به المشبه.

نأخذ مثال الورد الذي أراد به الشاعر خدي الحبيبة:
أ- ورد لفظ الوردِ في غير معناه الحقيقي فهو مجاز.
ب- القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي مقامية (مقام غزل).
ج- العلاقـة بيـن المعـنى المجازي والمعنى الحقيقي علاقة مشابهة (شبه الخدين بالورد بجامع الحمرة والحسن...) فهي استعارة.
د- جرت الاستعارة في اسم فهي أصلية.
هـ - صرح بالمشبه به (الورد) فهي تصريحية.

تمرين 2 :

حلّل ما تستخرجه من استعارات في ما يلي متبعا المراحل الآنفة الذكر.
أ- وقد كان يدنى مجلسي من سمائه أحادث فيها بدرها و الكواكبا
(المتنبي في مدح سيف الدولة)
ب- لهث النهار وركضت الغيوم وتلثمت الشمس فأطرقت الزهرة.
ج- ومعنا على الطّعام رجل تسافر يده على الخوان
(الهمذاني)

2- **الإستعارة المكنية**:
تشتمل الاستعارة التبعية التي تجري في فعل أو مشتقّ على استعارة تصريحية تتضـمن بدورهـا فـي قرينتها دائما تشبيها خفيا يذكر فيه المشبه ويكنّى عن المشبه به بذكر أحد لوازمه أو خصائصه وتسمى الاستعارة الثانية مكنية.
فالإسـتعارة المكنية هي التي يكون فيها اللفظ المستعار بمثابة المشبه في عملية التّشبيه المفترضة.
فكـلّ استعارة تبعية هي استعارة تصريحية تتضمن في قرينتها اللفظية استعارة مكنية.
مثال : نهق المغنّي.
أ- ورد لفظ نهق في غير معناه الحقيقي فهو مجاز.
ب- القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية " المغنّي".
ج- العلاقـة بين المعنى المجازي (النّهيق) والمعنى الحقيقي (الغناء) علاقة مشابهة بجامع النّشاز... فهي استعارة.
د- جرت الإستعارة في فعل فهي تبعية.
هـ - صرح بالمشبه به (النّهيق) فهي تصريحية.
i. تضـمنت في قرينتها (المغنّي) تشبيها خفيا (تشبيه المغنّي بالحمار ذكر فيه المشـبه بالحمـار) (المغنّي) وكنّى عن المشبه به (الحمار) ببعض لوازمه (النّهيق) فهي مكنية.

تمرين 3 :

عد إلى التمرين 2، وحلّل كلّ استعارة مكنية متّبعا مراحل التّحليل الآنفة الذكر. وتصنّف الاستعارة باعتبار الملائم أي باعتبار ما يتبع لفظها مما قد يلائم المشبه به أو المشبه إلى: استعارة مرشّحة واستعارة مجردة واستعارة مطلقة واستعارة مرشحة مجردة.

1 - **الاستعارة المرشّحة أو الترشيحية:**

هي ما ذكر معها ملائم للمشبه به أي ملائم للفظ الوارد مجازا في التّصريحية. فالتّرشيح هو إيغال في المجاز قصد زيادة التّخييل والإيحاء. من مثل قول الحجاج في خطبته البتراء.

"إنّي أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها".

أ- ورد لفظ أينع في غير معناه الحقيقي فهو مجاز.

ب- القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية "رؤوس"

ج- العلاقة بين اللفظ المجازي المستعار و المعنى الحقيقي (التطاول) علاقة مشابهة فهي استعارة.

د- صرح بالمشبه به (أينع) فهي تصريحية.

هـ - تضمنت التصريحية في قرينتها (الرؤوس) تشبيها خفيا (تشبيه الرؤوس بالثمار). ذكر المشبه وكنّى عن المشبه به (الثمار) ببعض لوازمه (أينع) فهي استعارة مكنية.

أ. أردفت الاستعارة التصريحية "أينعت الرؤوس" بما يلائم المجاز المصرح به (المشبه به) وهو: (حان قطافها) فهي استعارة تصريحية تبعية مكنية مرشّحة.

2- **الاستعارة المجردة**

وهي ما ذكر معها ما يلائم المشبه غير المصرح به في عملية التشبيه المفترضة. فالتّجريد عود إلى الحقيقة أي تعرية للمجاز و تجريد له. كأن تقول زأر الرجل تستعير صوت الأسد للرجل ثم تردفها "مناديا في القوم" و النّداء في القوم لا يلائم المشبه به المصرح به (الزئير) و إنّما يلائم المشبه (الصياح) غير المصرح به فهو تجريد للاستعارة وإعراض عن صورة المجاز و عود إلى الحقيقة.

تمرين 4:

أ – عين الملائم المجرد للاستعارة في ما يلي :

يضاحكها الضحى طورا و طورا * * عليها الغيث ينسجم انسجاما

(البحتري في وصف روض)

لهفي على ريحانة راحت إلى * * مثوى ثواب ليت فيه ثوائي

(علي الحصري في رثاء ابنه)

ماذا على الريح لو أهدت تحيتنا * * إليكم مثلما تهدى التحيات

(علي الحصر)

أتتني الشمس زائرة .... (بشار في مقام غزل)

ب- جرد ما يلي من الاستعارات:

مثال: زارني القمر (في مقام يقصد فيه بالقمر الحبيب)

زارني القمر في غفلة من العذال.

ابتسمت عن برد .... (في مقام الغزل)

ركضت السحب ....

غازل النّسيم الأغصان ....

2- **الاستعارة المطلقة**:

وهي ما خلت من ملائمات المشبه به والمشبه معا.

مثال:

تعانقت الأغصان.

وصل الغضنفر (يقصد به القائد أو البطل.........)

مر غصن بان (في وصف حسناء)

ومثله قول المتنبي في مدح بدر بن عمار:

يا بدر، يا بحر، يا غمامة * * يا ليث الشرى، يا حمام، يا رجل

في هذا البيت استعارات حلّلها وبين نوعها.

3- **الاستعارة المرشّحة المجردة**:

وهـي ما أردفت بما يلائم المشّبه به والمشبه معا. ومن البلاغيين من يسمي هذا الـنّوع اسـتعارة مطلقة، ولكنّنا نفضل هذا التصنيف اجتنابا للخلط الممكن بين ما يكون خاليا من ملائمات وما يردف بملائم للمشبه به والمشبه معا.

مثال:

أتتني الشّمس زائرة * * ولم تك تبرح الفلكا (بشار- مقام غزل)

نجد في هذا البيت استعارة موطنها الشمس قرينتها أتتني.

ونجد لفظ زائرة مجردا للاستعارة، و"لم تك تبرح الفلكا" ملائم مرشح للإستعارة.

فالاستعارة تصريحية مجردة مرشّحة.

تمارين :

جرد ثم رشّح الاستعارات الواردة في بيت المتنبي في مدح بدر بن عمار أعلاه.

رشّح أو جرد كل استعارة وردت مسطرة فيما يلي:

فأمطرت لؤلؤا من نرجس و سقت * * وردا وعضت على العناب بالبرد

ومن أصناف الاستعارة :

الاستعارة التمثيلية :

وهي جملة أو تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة مشابهة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

وهـذا الـنوع مـن الاستعارات يسمى تمثيليا لأنّه يطلق بمثابة المثل الذي يعوض الكلام الذي كان ينبغي أن يقال على سبيل الحقيقة. كأن تقول في مقام ترى فيه من لا يحسـن التصـرف في خيرات كثيرة: يعطي الفول لمن ليس له أضراس (مثل عامي) هذا الكلام قيل على سبيل المجاز والتمثيل أما على سبيل الحقيقة فهو: قد لا يحسـن التصـرف فـي الأموال من وهب منها الكثير أو هذا الشخص لا يحسن التصرف فيما وهبه من خير عميم.

ومثله: لا تنثر الدر أمام الخنازير:

استعارة تمثيلية تقال لمن يقدم النصح المفيد أو الحكمة المنجية لمن لا يعيها.

ومثله أيضا :

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه * * تصيده الضرغام فيما تصيدا

استعارة تمثيلية تقال لمن أمن ماله أو استثمره عند من يعرف بالبطش والقوة فيأتي على ماله كما يأتي على مال غيره...

ملاحظـة : تكـون القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي في الاستعارة التمثيلية دائما مقامية.

الاستعارة التخييلية : وهي استعارة لا يمكننا فيها تصور لفظ حقيقي قام مقامه اللفظ المستعار.

مثال : لقد سخر الجبل منّا. **(المسعدي)**

فنحن لا نستطيع بسهولة إيجاد فعل حقيقي مشبه استعار له المسعدي لفظ سخر.

تمرين 5:

حلّل الاستعارات الواردة فيما يلي :

أقبل الصبح يغنّـي للحيـاة الناعسـة
والربى تحلم في ظلّ الغضون المائسة
والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسـة
وتهادى النّور في تلك الفجاج الدامسة
(الشابي)

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين،
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين.............................. **(أبو ماضي)**

لكلّ جواد كبوة (مثل)

إذا حميت شمس النّهار تضاحكت * * إلى الشمس فيه بيضه و مغَافِره
(أبو العتاهية)

ضحكت إلي وجوهها و عيونهـا * * ووجدت في أنفاسها رياك
(أحمد شوقي في وصف الرياض)

الكناية

لغة: كنّى عن الأمر بغيره : تكلّم بشيء وهو يريد غيره مما يتّصل به بوجه من الوجوه.
اصطلاحا: الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى.

وفي الكناية معنيان : - معنى قريب ممكن غير مقصود.
- معنى بعيد مقصود.

يمثّلون للكناية بأبيات الخنساء في رثاء أخيها صخر:

طويل النّجاد رفيع العماد * * كثير الرماد إذا ما شتا

في هذا البيت نجد ثلاث كنايات :

- طويل النّجاد (والنّجاد هو محمل السيف): كناية عن القوة والطول.
- رفيع العماد: كناية عن السيادة.
- كثير الرماد: كناية عن الكرم.

وتتمـيز الكـناية بكون طول النّجاد ورفعة العماد وكثرة الرماد أمور ممكنة على سبيل الحقيقة ولكنّها ليست المقصودة.

وتتطلّـب معرفة الكناية معرفة بكلّ ما يتّصل باللغة التي ترد فيها الكناية من أخبار وثقافة وحضارة وتقاليد ...

وتنقسم الكناية إلى:

1- **كناية عن صفة**: كالكرم والسيادة والقوة في الأمثلة السابقة.

ومن أمثلة الكناية عن الصفة :

- نؤوم الضحى: كناية عن صفة الثراء و سعة العيش (قديما).
  مع الملاحظة أن المعنى القريب ممكن على سبيل الحقيقة ولكنّه غير مقصود.
- بعـيدة مهـوى القرط... المعنى القريب المكنّى به هو طول انحدار القرط وهو ممكـن غير مقصود، والمكنّى عنه إنّما هو المقصود وهو صفة طول الجيد. وصفة طول الجيد هي من مقاييس جمال المرأة قديما وحديثا.

2- **كناية عن موصوف**

وهـو مـا يكـون المكنّى عنه هو المقصود من مثل قو ل أبي نواس في وصف الخمرة:

فلما شربناها ودب دبيبها * * إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

فموطـن الأسـرار كـناية عن القلب واعتبار القلب موطنا للأسرار ممكن على الحقـيقة في ما يجري من أعراف قولية ولكن المعنى المصرح به ليس مقصودا لذاته و إنّما هو كناية عن القلب.
مثال ثان قول علي الحصري في رثاء ابنه عبد الغني :

لهفي على ريحانة راحت إلى * * مثوى ثواب ليت فيه ثوائـي

موطن الكناية : لفظ مثوى ثواب.
المعنى القريب الممكن: مكان حصول الثواب و قد ذكر على سبيل الفأل.
المعنى البعيد المكنى عنه: القبر فهي كناية عن موصوف.

3- **كناية عن نسبة:**
وهي عدم التصريح بنسبة أمر أو صفة إلى الشيء إثباتا أو نفيا فتنسب إلى بعض ما له اتصال به.
مثال:

فما جازه جود و لا حلّ دونه * * ولكن يسير الجود حيث يسير

فـي البيـت اسـتعارات ثـلاث موطـنها: جاز وحلّ ويسير المسندة إلى الجود والبيت في الصدر والعجز يتضمن كناية عن نسبة الجود إلى الممدوح نسبة تجعله وإياه لا يفترقان البتّة.

علم البديع

لغة :

مـن بدع الشيء يبدعه وابتدعه: أنشأه وبدأه. والبديع والبدع الشيء الذي يكون أولا. والـبديع المحـدث العجيـب، وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال، وأبدع الشاعر جاء بالبديع([1]).

اصطلاحا:

هـو "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضـوح الدلالـة"([2]). ويعـرفه ابـن خلـدون بكونـه النّظر في تزيين الكلام وتحسـينه بـنوع من التنسيق : إما بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصـيع يقطّـع أوزانـه، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشـتراك اللفـظ بينهما، أو طباق بالتقابل بين الأضداد وأمثال ذلك"([3]). وهو بهذا يفصل القول في أبرز مباحث علم البديع ويعرفها.

ولعـلّ مصـطلح الـبديع قصد به أولا البلاغة حين لم تتضح بعد الحدود بين أقسامها. وينسب استعمال كلمة بديع مصطلحا إلى مسلم بن الوليد (208 هـ) وهو شـاعر عباسـي مـن أبـناء الأنصار عرف بصريع الغواني. فقد وضع بعض المصطلحات التي أصبحت مباحث لعلم البديع من مثل الجناس والطّباق.

علـى أن أول تألـيف بدأت تتجلّى فيه المقاييس لهذا العلم وضعه عبد اللّه بن المعتز (296هـ) وهو ابن المتوكّل بن المعتصم بن هارون الرشيد. فقد وضع كتابا سـماه كـتاب البديع. وكان غرضه من ذلك تعريف النّاس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدميـن إلـى شيء من أبواب البديع. وهي إشارة إلى الجدل الذي قام منذ ذلك الوقت حول الطّبع والصنعة وظهور مدرسة المولّدين التي يمثّلها كلّ من مسلم بن الوليد و بشّار و أبي نواس. يقول ابن المعتزّ: قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنـا فـي القرآن واللغة وأحاديث رسول اللّه صلّى عليه وسلّم وكلام الصحابة والأعـراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم

---

[1] لسان العرب مادة ، بدع.

[2] الخطيب القزويني - * الايضاح في علوم البلاغة ن ص 317 – دار إحياء العلوم، بيروت، 1992، ط2.

[3] ابن خلدون، المقدمة – الفصل السادس- فصل علم البيان، ص719، الدار التونسية للنّشر، 1993.

أن بشـارا وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنّه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتّى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه"([1]).

فابـن المعـتز يشـير إلـى أن البديع فن من فنون القول لم يبتدعه أصحاب "مدرسـة البديع" المشار إليهم وإنّما هم جماعة قصدوا إليه فعرفوا بذلك. على أن ابـن المعـتز ذكر أن الاستعارة والكناية من أبواب البديع، وقد جاراه في ذلك أبو هـلال العسـكري فـي كتاب الصناعتين. وقد فصل ابن رشيق (464 هـ) هذين المبحثين عن البديع.

وتقسم مباحث البديع إلى:

- ضرب يرجع إلى المعنى: فهي محسنات معنوية.
- ضرب يرجع إلى اللفظ: فهي محسنات لفظية.

أما المحسنات اللّفظية فهي :

1- الجناس.
2- السجع.
3- الازدواج.
4- الاقتباس.

وأما المحسنات المعنوية فهي:

1- الطباق.
2- المقابلة.
3- التورية.
4- تأكيد المدح بما يشبه الذم.
5- تأكيد الذم بما يشبه المدح.
6- حسن التّعليل.
7- أسلوب الحكيم.

وهـذا التّقسـيم إلى بديع لفظي وبديع معنوي تقسيم شكلي لأن البديع اللفظي معـنوي أيضـا وإنّمـا الفرق بينهما هو أن اللفظي مرجعه صوتي وأن المعنوي مداره المعنى فلا دليل صوتيا عليه.

[1] ابن المعتز: كتاب البديع، ص1، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1982.

الجناس

من جانس جناسا ومجانسة شابه بين أمرين.

وهو مصطلح بلاغي يعني ما يقع بين لفظتين لتشابههما في الجرس الصوتي من مثل: كلّ متني وكلّمتني وسوط وصوت.

فالمشـابهة بين كلتا اللفظتين مشابهة صوتية لا مشابهة معنوية وهي مشابهة فـي هاتيـن الحالتيـن من نوع المماثلة (بالرغم من اختلاف الصواتم في سوط وصـوت وذلـك أن فـي عملية النطق بسوط تحدث ظاهرة الاستباق التي تجعل السـين والفتحة والواو مفخّمة وفي عملية النطق بالتاء في صوت تحدث ظاهرة اجترار التفخيم الذي يصاحب الصاد...).

وينقسم الجناس إلى:

1- **<u>جناس تام:</u>**

وهو تماثل لفظتين صوتيا تماثلا كاملا، أي اتفاق اللفظتين في أجراس حروفها وعددها وهيئاتها أي حركاتها مع اختلافها في المعنى.

من مثل كلّ متني وكلّمتني.

وسوط وصوت.

ودارهـم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم وحيهم ما دمت في حيهم.

2- **<u>جناس غير تام</u>**: و يفرع إلى:

أ- **جناس محرف:**

وهـو مـا يكون باختلاف اللفظتين في هيئات الأحرف أي في حركاتها من مثل قو ل الشّاعر :

والحسن يظهر في بيتين رونقه * * بيت من الشعر أو بيت من الشَعر

وقولهم: الجاهل إما مفرط أو مفرط.

وكذاك العجب والعجب والكِبر والكِبر وشِرك وشَرك.

ب- **الجناس الناقص أو المذيل:**

ويكـون باخـتلاف اللفظتين في عدد الأحرف دون هيئاتها. وسمي ناقصا لنقصـان اللفظة عن الأخرى بحرف، وسمي مذّيلا لزيادة اللفظة الثانية عن الأولى بحرف أو حرفين كقول الشّاعر:

إن البكاء هو الشفا * * ء من الجوى بين الجوانح

فالجوى تمثل جناسا ناقصا بالنسبة إلى الجوانح.

والجوانح تمثل جناسا مذيلا بالنسبة إلى الجوى.

ومـن أمثلته أيضا الساق والمساق. وتهذيب وتهذي وعواص وعواصم – وقواض وقواضب. كقول أبي تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم * * تصول بأسياف قواض قواضب

وقول البحتري:

لئن صدفت عنّـا فربت أنفس * * صواد إلى تلك الوجوه الصوادف

ج -**الجناس المضارع**:

وهـو مـا اختلفت فيه الأحرف في اللفظتين اختلافا على وجه التقارب في الجرس الصوتي نتيجة لتقاربها في المخرج من مثل ينهون وينأون، والبرايا والبلايا والخير والخيل.

د -**الجناس اللاحق:**

وهـو مـا اختلفت فيه اللفظتان في حرف اختلافا تاما من مثل همزة ولمزة وقول الحريري : "لا أعطي زمامي لمن يخفر ذمامي" وتفرحون وتمرحون وشهيد وشديد.

هـ -**الجناس المقلوب:**

وهـو مـا اختلفت فيه اللفظتان في ترتيب الأحرف من مثل: ثورة وثروة، وكفّـاه وفكّـاه. كقول بعضهم: "رحم اللّه امرأ أمسك ما بين فكيه وأطلق ما بين كفّيه".

ولا يكون للجناس قيمة فنية إلاّ إذا لم يكن مقصودا لذاته ذلك أن الإكثار منه والولـوع بـه مذمـوم. وإنّما الغاية من الجناس إحداث إيهام بأن اللفظتين المتجانسـتين متماثلتان معنى وأجراسا صوتية. وإحداث مثل هذا الإيهام فن مـن فنون القول بشرط أن يكون السياق هو الذّي يقتضيه أو يطابقه فيكون موقـع معنييـهما أي اللفظتين المتجانستين "من العقل موقعا حميدا ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا"([1]).

لذاك تجدر الملاحظة بأن :

- الجناس بديع صوتي معنوي ذلك أن التنميق الصوتي بالتجنيس هو في خدمة المعـنى بحيـث يـزيد من تمكينه في النفس باستجلاب العجب منه وزيادة الفضل فيه.
- الجناس ينعدم إذا باعد المتكلّم بين اللفظتين المتجانستين وانعدم الجامع العقلي المعنوي بينهما.
- الجـناس يكون باختلاف اللفظتين في أكثر من حرف وذلك إذا اشتملت كل لفظة على خمسة أحرف فأكثر، والقاعدة في ذلك هو غلبة المجانسة صوتيا وحصول الإيهام الصوتي بالمشابهة بين الكلمتين.
- يلحق بالجناس ما بني على الاشتقاق من مثل قوله تعالى: فَأَقِم وجهك لِلدِّين القَيِمِ"([2]).

[1] الجرجاني: أسرار البلاغة، ص6، ط2، بغداد، 1979.

[2] الروم، 43.

السّجع

حده :
لغة من سجع يسجع سجعا استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا. والسجع الكلام المقفّى والجمع أسجاع وأساجيع وكلام مسجع. وسجع يسجع سجعا وسجع تسجيعا: تكلّم بكلام له فواصل كفواصل الشّعر من غير وزن(1).
اصطلاحا:
تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد. وهذا معنى قول السكاكي "الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر"(2). فالسجع من خصائص النثر كالتّقفية التي هي من خصائص الشعر. ويقسم السجع إلى ثلاثة أنواع :

1- **السجع المطرف**:
وهو اختلاف الفاصلتين في الوزن مع مجيئهما على حرف واحد. من مثل قوله تعالى : "ما لَكُم لاَ تَرجعون للهِ وقارا وقَد خَلَقَكُم أَطْوارا"(3).

2- **السجع المرصع** :
وهو أن تتطابق فاصلتان أو أكثر من حيث التركيب ووزن الكلمات فيها كلمة كلمة، إضافة إلى مجيئها على حرف واحد في الآخر، من مثل قول الحريري: "فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر وعظه" وقول الهمذاني: "إن بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحوا".

3- **السجع المتوازي**:
وهو ما اختلفت في فاصلتيه أوزان الكلمات من مثل قوله تعالى "فِيها سرر مرفُوعةٌ وأَكْواب موضوعةٌ"(4) فوزن سرر مختلف عن وزن أكواب.

---

[1] اللسان، مادة س ج ع.
[2] القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص362، والفاصلة في هذا السياق تختلف عن الفاصلة في علم العروض بها هنا المركب النحوي الّذي يمكن على إثره الوقف أي رسم فاصل [،].
[3] نوح، 13 و14.
[4] الغاشية، 13 و14.

يذكرابـن الأثـير([1]) أن أحسـن السـجع مـا تساوت فواصله (يقصد المرصع) وأن ما يأتي في الدرجة الثانية هو ما طالت فاصلته الثانية بالنسبة إلى الأولى من مثل قوله تعالى: " والنَّجمِ إِذَا هوى ما ضل صاحِبكُم وما غَوى"([2]).

ويقتضي السجع دائما تسكين آخر الفاصلة المسجوعة والوقف عندها.

ولا يكتسـب السـجع قيمـته الفنية إلاّ إذا كان مما يطلبه السياق المقالي أو المقامي فلا يكون مقصودا لذاته.

ويذكـر البلاغيون نوعا آخر من السجع يسمونه المتوازن ولكن أغلبهم يجعل منه مبحثا خاصا يسميه الازدواج ([3]).

---

[1] المثل السائر، وانظر أيضا الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص363.

[2] النجم، 1 و2.

[3] انظر تفصيله فيما سيأتي.

الازدواج

حده:

هو تساوي فاصلتين أو أكثر في عدد الألفاظ دون التقفية.

وهـو أسلوب عرف في فن الترسل، واشتهر به الجاحظ. فيمكن ملاحظة مـزجه بيـن الازدواج والسـجع فـيما يلي: وكيف يفطن عند الاعتلال له، ويتغلغل عند الاحتجاج عنه، إلى الغايات البعيدة، والمعاني اللطيفة، ولا يفطن لظاهرة قبحه، و شناعة اسمه، و خمول ذكره، و سوء أثره على أهله، وكيف وهـو الذّي يجمع له بين الكد وقلّة المرونة، وبين السهر وخشونة المضجع، وبين طول الاغتراب وطول قلّة الانتفاع (...) ثم احتج لذلك بالمعاني الشداد، وبالألفـاظ الحسان، وجودة الاختصار، وبتقريب المعنى، وبسهولة المخرج، وإصـابة الموضع فكان ما ظهر من معانيه وبيانه، مكذّبا لما ظهر من جهله ونقصـانه. ولـم جـاز أن يبصر بعقله البعيد الغامض، ويغبى عن القريب الجليل؟([1]).

ولعلّ في مزج الجاحظ بين السجع والازدواج دليلا على أن الازدواج هو لون من التّسجيع الذي لا يقيد بالتّقفية. ومن أمثلة الازدواج أيضا :

- الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع ([2]).
- العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى ([3]).
- "يحِلُّ لَهم الطَّيِّباتِ ويحرِّم علَيهم الخَبائِثَ"([4]).

---

[1] الجاحظ، مقدمة البخلاء، ص13، دار صادر، بيروت، د.ت.
[2] علي بن أبي طالب
[3] علي بن أبي طالب
[4] الأعراف، 157.

الاقتباس و التضمين

الاقتباس: هو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنّه منه.

أمثلة:

1- إن كنت أزمعت على هجرنا * * من غير ماجرم "فصبر جميل"([1])
وإن تبدلـت بنـا غيرنـ ـا * * فـ " حسبنا اللّه و نعم الوكيل"([2])

2- وكتمان الفقر زهادة و"انتظار الفرج بالصبر عبادة"([3])

3- قـول ابـن نـباتة الخطيب من خطبة ذكر فيها القيامة: هناك يرفع الحجاب ويوضـع الكـتاب ويجمع من وجب له الثواب وحق عليه العقاب فيضرب "بينَهم بِسورٍ له باب، باطِنُه فِيه الرحمةُ وظَاهِره مِن قِبلِهِ العذَاب". وهو مقتبس من قوله تعـالى : فَضـرب بيـنَهم بِسـورٍ لَـه باب، باطِنُه فِيه الرحمةُ وظَاهِره مِن قِبلِهِ العذَاب([4]).

ملاحظات:

1- الأصـل فـي الاقتباس أن لا ينقل فيه اللّفظ المقتبس عن معناه الأصلي إلى معنى آخر.

2- قد يدخل اللّفظ المقتبس تغيير طفيف لأجل الوزن أو غيره كقول الشاعر:
كان الذي خفت أن يكونا * * إنّا إلى اللّه راجعونا
فالعجز تغير ولكن بقي حافظا على ما يوحي بأنّه مقتبس من القرآن([5]).

3- التّضمين: هو أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير مما يكون مشهورا عند البلغاء. من مثل ما جاء في نونية بشار :

وذات دلّ كأن البـدر صـورتهـا   باتت تغنـّي عميد القلب سكرانا([6])
(إن العيون التي في طرفها حـور   قتلننا ثم لم يحيـيـ ـن قتلانـا
فقلت أحسنت يا سؤلي ويا أملـي   فأسمعيني جـزاك اللّه إحسانـا
(يـا حبذا جبل الريان من جبـل   وحبذا ساكن الريان من كانـا)

---

[1] اقتباس من القرآن الكريم، يوسف 18 وكذلك 83.

[2] مقتبس من آل عمران: 173.

[3] الحريري، وقوله انتظار الفرج بالصبر عبادة: حديث شريف.

[4] الحديد، 13.

[5] البقرة، 156 "الّذين إذَا أصابتْهم مصِيبةٌ قَالُوا إنا _ وإنا إلَيهِ راجِعون".

[6] بشار: الجزء الرابع ملحقات الديوان، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، ص194، القاهرة 1957.

قالت فهلاّ فدتك النفس أحسن من هذا لمن كان صب القلب حيرانا
يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة (والأذن تعشق قبل العين أحيانا)

فالبيـتان ما بين قوسين هما مضمنان من شعر جرير. وقد جاء بيتًا" يا حبذا جـبل الريان" محكيا مقول قول لأسمعيني وهو مما يبرز كونه تضمينا. أما البيت (إن العيون ...) فهو مشهور إذ هو صوت من المائة المختارة في الأغاني.

ويمكـن أن يشـتمل الكـلام المضـمن على بعض تغيير لا يبعده عن أصله الإحالي من مثل قول الشاعر:

أقول لمعشر غلطوا و غضوا * * عن الشيخ الرشيد وانكروه
(هو ابن جلا وطلاّع الثّنايـا * * متى يضع العمامة تعرفـوه)

والبيت الثاني تضمين لبيت سحيم بن وثيل :
أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * * متى أضع العمامة تعرفوني.

الطِّباق

وهو ضرب من المحسنات البديعية المعنوية حيث يكون مرجعها المعني الذي يتحقق باللفظ.

لغة:

هـي وضـع الرجل موضع اليد في مشي ذوات الأربع، فكأنّما الأمر يتعلق بجمع ضدين في مكان واحد(اليد اليسرى مع الرجل اليمنى).

اصطلاحا:

هـي الجمع بين لفظتين متقابلتين في المعنى. ويكون ذلك في جملة واحدة أو في جملتين متتاليتين يستطيع السامع أن يربط بين التقابل المعنوي فيهما.

مثال:

ألا أيها الظالم المستبد * * حبيب الظلام عدو الحياة([1])

إنّما يجمع الناس الرضا والسخط.([2])

ويكون الطباق بين اسمين :

"هو الأول والآخر والظّاهر والباطن"([3])

"وتحسبهم أيقاظا وهم رقود"([4])

أو بين فعلين:

و"أنّه هو أضحك وأبكى وأنّه هو أمات وأحيا"([5]).

"ثُمّ لاَ يموتُ فِيها ولاَ يحيا"([6])

أو بين حرفين:

"ولَهن مِثْلُ الذِي علَيهن بِالمعروفِ".([7])

ويكون الطباق بين اسم و فعل :

---

[1] الشابي

[2] علي بن أبي طالب.

[3] الكهف، 18.

[4] الكهف، 43.

[5] النجم 43.

[6] الأعلى، 13.

[7] البقرة، 228.

"أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في النّاس"([1])
"ومن يضلِلْ اللّه فما له من هادٍ"([2]).
والطّباق نوعان: طباق السلب وطباق الإيجاب.

1- **طباق الإيجاب**:
وهـو مـا لم يختلف فيه الضدان سلبا وايجابا (إما إيجابيان أو سلبيان) مثل :
"قُل اللّهم مالِك المُلْكِ تُؤْتِي المُلْك من تَشَاء وتَنْزِع المُلْك مِمّن تَشَاء وتُعِزّ من تَشَاء وتُذِلّ من تَشَاء" ([3]).
تؤتي > < تنزع   تعز > < تذلّ

2- طباق السلب:
وهـو ما اختلف فيه الضدان إيجابا و سلبا بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي في كلام واحد مثل:
"قُلْ هلْ يستَوِي الذِين يعلَمون و الذِّين لاَ يعلَمون([4])
"يستَخْفُون مِن النّاسِ و لاَ يستَخْفُون مِن اللّهِ"([5])
"فَلاَ تَخْشَوا الناس واخْشَون ولاَ تَشْتَروا بآياتِي ثَمنًا قَلِيلاً"([6])
والمثال الأخير قائم على الأمر والنّهي وهو من نوع طباق السلب.

ملاحظات:
1- يلحق بالطّباق ما بني على المضادة تأويلا في المعنى:
"يغْفِر لِمن يشَاء ويعذِّب من يشَاء"
يغفر > < يعذّب
2- تكمن بلاغة المطابقة في أنّه في الجمع بين متضادين دلالة على المبالغة بطريقة فنية :
مكر مفر مقبل مدبر معا * * كجلمود صخر حطّه السيل من عل([7]).

1 الأنعام، 122.
2 غافر، 33.
3 آل عمران، 26.
4 الزمر، 9.
5 النساء، 108.
6 المائدة، 44.
7 امرؤ القيس.

المقابلة

حدها:

هـي أن يؤتـى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثمّ يؤتى بما يقابلهما على الترتيب. وهـي أعـم من الطباق لأنها تتضمن أكثر من مطابقة. فمجال الطّباق اللفظة المفـردة أمـا مجال المقابلة فهو التركيب أو الجملة. فالمقابلة تقوم دائما بين مركبين أو بين جملتين مثل :

"يخْرِج الحي مِن الميِّتِ ويخْرِج الميِّتَ مِن الحي"([1])

"فَلْيضحكُوا قِليلاً وليبكُوا كثِيرا"([2])

ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية.

وقد تقوم المقابلة:

أ- **على مقابلة اثنين باثنين**:

مثال: إذا أوعد أخّر، وإذا وعد عجل([3]).

ب- **مقابلة ثلاثة بثلاثة**:

مثال :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا * * وأقبح الكفر والإفـلاس بالرجـل([4])

فلا الجود يفني المال والجد مقبل * * ولا البخل يبقي المال والجد مدبر([5])

1- **مقابلة أربعة بأربعة**:

مثال:

قوله تعالى: "فَأَما من أعطَى واتّقَى وصدقَ بِالحسنَى فَسنُيسِّره لِلْيسرى"

"و أَما من بخَلَ واستَغْنَى وكَذب بِالحسنَى فَسنُيسره للْعسرى"([6])

أزورهم وسواد اللّيل يشفع لي * * وأنثني وبياض الصبح يغري بي.

---

[1] الروم، 19.

[2] التوبة، 82.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين.

[4] أبو دلامة.

[5] المتنبي.

[6] الليل، 92.

التّورية

لغة:

من ورى تورية، ووريت الخبر جعلته ورائي وسترته وأظهرت غيره.

اصطلاحا:

هـي أن يطلـق لفظ له معنيان قريب وبعيد فيراد البعيد والمقال يوهم السامع إرادة القريب وليس كذلك، وتسمى أيضا الإيهام.

مثال : كسر الجرة عمـدا * * وسقى الأرض شرابا
فقلت والإسلام ديني * * (ليتنـي كنت ترابـا)

1- عجز البيت الثاني الوارد بين قوسين اقتباس من قوله تعالى "ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا"([1])
2- الشطر نفسه يحتوي على تورية معناها القريب التّعبير عن النّدم المفهوم من الاقتباس، أما المعنى البعيد الموري عنه بالاقتباس فهو تمنّي أن يكون ترابا ليشرب الخمرة المراقة التي تسقي الأرض.

أنواع التورية: تكون التورية:

1- **مجردة**: وهي ما لم يذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب أو البعيد.
"الـرحمان على العرش استوى" ([2]) وإنّما التورية حاصلة في معنى الاستواء إذ لها معنيان:
الاستقرار في المكان: وهو المعنى القريب الموري به غير المقصود.
الملـك والاسـتيلاء : وهو المعنى البعيد الموري عنه وهو المراد وذلـك لأن اللّه، سبحانه وتعالى منزه عن المعنى الأول. ولم يذكر من لوازم هذا أو ذاك شيء.

فالتّورية مجردة بهذا الاعتبار.

ومن هذا النوع قول النبي الأعظم في خروجه إلى بدر، وقد قيل له: ممن أنتم؟ فأجاب وهو لا يريد أن يعلم السامع: "من ماء" وأراد إنّا مخلوقون من ماء وهو المعـنى البعـيد الموري عنه. أما المعنى القريب الموري به فهو قوله من ماء وهو اسم قبيلة عربية معروفة.

2- **التورية المرشّحة:**

---

[1] النـّبأ، 40.
[2] طه، 5.

مثال:

والسماء بنيناهـا بأيـد ⟵ المعنى القريب: الجارحة.

التورية حاصلة في لفظ بأيد ⟵ المعنى البعيد : بقوة.

البنيان هو من لوازم المعنى القريب فهو مرشح للإيهام أي موغل في المعنى المجازي.

كسر الجرة عمـدا * * وسقى الأرض شرابا
قلت والإسلام ديني * * ليتنـي كنت ترابـا

تورية مرشحة بلفظ الإسلام ديني ⟵ يزيد في الإيهام بمعنى النّدم: المعنى القريب الملاحظ في ليتني كنت ترابا.

أرى ذنب السرحان في الأفق طالعا * * فهل ممكن أن الغزالة تطلع

فالتورية حاصلة في : المعنى القريب : ذنب الذئب

أ- ذنب السرحان المعنى البعيد المراد: شعاع الشمس
وهو مرشح بلفظ الغزالة في العجز (ترشيح المعنى القريب)

ب- الغزالة يمكن اعتبارها تورية هي الأخرى.

المعنى القريب : الحيوان المعروف.

المعنى البعيد : الشمس. والتورية مرشحة بلفظ ذنب السرحان السابقة أيضا وهو إيغال في المجاز وإبعاد عن المعنى البعيد المراد.

تمرين:

حلّل الأمثلة التالية:

قال عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلا * * عمرك ا كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت * * وسهيل إذا استقلّ يماني

ملاحظة :

يلاحظ أن تحليل مثل هذه الأمثلة وغيرها يتطلب ثقافة لغوية وحضارية دقيقة إضـافة علـى أسـباب نظم البيات ومقامات القول: فسبب نظم البيتين موضوع التحليل هو أن سهيلا تزوج الثريا وهي صاحبة عمر وكان بينها وبين سهيل بون شاسـع مـن حيـث الجمال ومن حيث النسب كما ينبغي أن نعلم أيضا أن الثريا وسهيل نجمان ...

أسلوب الحكيم

هـو أن تلقـى المخاطب بغير ما يترقّبه من الجواب، وذلك إما بحمل كلامه علـى غـير مـا كـان يقصد و يريد تنبيها على أنّه كان ينبغي له أن يقصد هذا المعنى، من مثل :

س: - كم تربح في اليوم؟
ج : - الخير والبركة – أو- أحمد اللّه وأشكره.
س: - كم عمرك ؟
ج : - إنّي أنعم بالعافية.

ويكـون أسـلوب الحكيم بترك سؤال المخاطب والإجابة عن سؤال لم يسأله تنبـيها على أنّه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال من مثل قوله تعالى : يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للنّاس و الحجّ ([1]).

ويكـون نوعـا مـن المخاتلة استنادا إلى المعاني المعجمية أو السياقية: قال الحجـاج بـن يوسـف متوعدا القبعثري : لأحملنّك على الأدهم يريد القيد الحديد الأسود.

فقال القبعثري: مثل الأمير يحمل على الأدهم و الأشهب يريد الفرس فقال له الحجاج: أردت الحديد.

فقـال القبعثري: لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا. فكل ما سعى إليها القبعثري إنّما تحويل الوعيد إلى وعد عن طريق اللغة.

تمرين:

حلّل بلاغيا من حيث المعاني والبيان و البديع.

1	عيد بأية حال عـدت يا عيـد	بما مضى أم لأمر فـيك تجديد
2	أمـا الأحبـة فالبيـداء دونهـم	فليت دونـك بيدا دونـها بيـد
3	يا ساقيي أخمـر في كؤوسكمـا	أم فـي كؤوسكما هم وتسهيـد
4	أصخرة أنا ؟ مالي لا تحركنـي	هذي المدام ولا هذي الأغاريد
5	(...) جود الرجال من الأيدي وجودهم	من اللّسان فلا كانوا ولا جـود
6	ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم	إلاّ وفـي يده من نتنها عـود
7	أكلّما اغتال عبد السـّوء سيده	أو خانه فله في مصر تمهيـد
8	صار الخصي إمام الأبقين بهـا	فالحر مستعبـد والعبد معبـود
9	نامت نواطير مصر عن ثعالبها	فقد بشمن وما تفنى العناقيـد

من مهجية المتنبي في كافور

[1] البقرة، 189.

الفهرس